

المعلومات  
 صحى الورود - تلغى حمل الحارس - هاتفه ٤٦٦١٠  
 ص. ب. ١٢٧ - الرمز البريدي ١١٤١١  
 الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب  
 مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري  
 صاحبها ورئيس تحريرها: محمد الجاسر

الاشتراك (السنوي)  
 ٢٠٠ ريال للأفراد - ٢٠٠ ريال لتبرهم  
 الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة  
 تمى الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٨، ٧، ٢٤ محرم/ صفر ١٤١٠ هـ - آب/ أيلول (أغسطس/ سبتمبر) ١٩٨٩ م

## « بنو عامر في » البحرين

- ١ -

تَشَابُكُ أنسابِ القبائل وتداخلها ، من أصعب ما يعترض دارسي أنساب العرب ، عند محاولة التمييز بينها ، وخاصة إذا نشأ هذا التداخل عن تقارب في المنازل ، وتوافق في الزمن ، وهذا ينطبق على قبيلتين من أشهر قبائل الجزيرة منذ العصر الجاهلي حتى أزماننا القريبة التي لا يزال لتلك القبيلتين فيها بقايا فروع تنتسب إليهما ، واعني بهما بني عامر القبيلة الهوازنية المضرية العدنانية ، وبني عامر العبقسية الربعية العدنانية .

فالأولى كانت تمتد بلادها من الأودية المنحدرة من سلسلة جبال الحجاز الغربية ، منساحةً في وسط نجد حتى تبلغ رمال الأحقاف ( الربع الخالي ) على مقربة من نجران ، متوغلة جنوباً في الجزء الجنوبي من عارض اليمامة وأوديته وقراه .

والقبيلة الثانية كانت منتشرة مع الفروع الربعية الأخرى في عالية نجد ، حتى حدثت الحروب التي فرقت تلك الفروع فكان منها بنو عبد القيس الذين حلوا شرق الجزيرة حول سواحل البحر ، فيما بين عُمان جنوباً إلى قرب كاظمة (الكويت) شمالاً مخالطين قبائل أخرى ومن عبد القيس بنو عامر في البحرين .

ثم في صدر الإسلام حدثت موجات متتالية من الهجرات دفعت ببعض فروع القبائل ومنها بنو عامر الهوازنية إلى النزوح خارج الجزيرة ، فانتشرت على ضفاف الرافدين ( دجلة ) و ( الفرات ) وما حولهما من البلاد التي ليست بعيدة عما كان

يبلغه نفوذ بني عامر العقبسيين ، وسيطرتهم حين كانت لهم السلطة في بلاد البحرين ، مما سبب الاجتكاك ثم التقارب بين القبيلتين المتفتحتين في الاسم المتفرقتين في النسب، حتَّى دفع بعض من يُعنى بدراسة الأنساب إلى أن يقع في الخلط بينهما ، بل إلى انكار القبيلة الربعية .

وسأحاول بمجرد عرض نصوص تاريخية إيضاحَ هذا الأمر بِسَرْدِ بعض أقوال متقدمي العلماء المتعلقة ببني عامر هذه وبيان مبلغ نفوذها في تلك البلاد التي استوطنتها منذ العهد الجاهلي ولا تزال بقيتها تحملها الآن ، وإن تغيرت الأسماء .

لعل من أقدم من تصدَّى لكتابة تاريخ القبائل العربية وما يتصل بتقلُّبها داخل الجزيرة هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ تقريباً ، فكتابه « افتراق القبائل » يُعدُّ من أهم المصادر التي رجع إليها المعنيون بهذا الشأن ، ومع أنَّ الكتاب لم يصل إلينا سوى نصوص منه فيما بين ايدينا من المؤلفات ككتاب « الأغاني » للأصفهاني وكتاب « معجم ما استعجم » لأبي عُبيد البكري ، و« معجم البلدان » لياقوت الحموي وغيرها ، إلا أن تلك النصوص تُمدُّنا بمعلومات – وإن لم تكن وافية – فلعلها هي ما يمكن للمعنيين بالدراسات المتعلقة بتاريخ القبائل القديم الاعتماد عليه .

ولن أبعُدَ بالقارئ الكريم في الخوض في أسباب الافتراق بين ربعية ومضر ، ولا فيما حدث بين ربعية من فتن شتتها ، بل سأقتصر على الإشارة إلى منزلة بني عامر الربعيين في قومهم الأذنين بني عبد القيس :

١ – نقل البكري<sup>(١)</sup> عن ابن الكلبي : أن بني عامر بن الحارث – وأوصل نسبهم إلى عبد القيس – قتلوا عامراً الضَّحَّيان ، صاحبَ مِرْبَاعِ ربعية وسَيِّدَهُمْ ، فطلب قومه ديته ، وهي دية الرئيس عشر ديات ، فكان منها على بني عامر خمس مئة بعير ، وعلى بقية عبد القيس خمس مئة ، فأدَّتْ بنو عامر ما عليهم ، وتراخى ولدُ عبد القيس ، ف وقعت بينهم وبين أولياء القتل أولى الحروب التي وقعت بين بني ربعية ، وسببت تفرقتها ، فارتحلت عبد القيس وبعض فروع ربعية حتى استقروا في البحرين وهَجَرَ ، بعد أن غلبوا على من فيها من قبائل العرب .

ونزلت بنو عامر - ومعهم العُمورُ ، وهم بنو الدَّيْل بن عَمْرٍو ، ومحارب بن عمرو ، وعجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن اقصى بن عبد القيس ، وحلفاؤهم بنو عميرة بن أسد بن ربيعة - إخوة عَنَزَة بن أسد بن ربيعة - نزل كل هاؤلاء الجوف والعيون والأحساء ، جذاء طَرْفِ الدهناء ، وخالطوا أهل هجر في دارهم .

وذكر البكري أيضاً<sup>(٢)</sup> أن بلاد بني عامر هاؤلاء كانت تمتدُّ إلى قَطْر ، ونواحي يَبْرِينَ ، وتلك الرمال .

من هنا يتضح أن بني عامر ومن دخل فيهم من فروع ربيعة كانوا على درجة من الكثرة بحيث شملت بلادهم تلك المناطق الواسعة ، من العيون التي لاتزال معروفة في طرف سواد الأحساء من الناحية الشمالية حتى الجوف ، وامتدت إلى أطراف الدهناء ، وامتدت جنوباً فشملت جانباً من نواحي يبرين غرباً حتى بلاد قطر .

٢ - ثم لما جاء الإسلام أصبح لبني عامر هاؤلاء بين قومهم من المنزلة الرفيعة ما أحلهم الذروة في قومهم .

نقل البليبي عن الرُّشاطي الأندلسي في كتابه في الأنساب ما هذا نصه : وفي عبد القيس : عامر بن الحارث بن أثمار بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْزِ بن أَقْصَى بن عبد القيس .

منهم سَوَّارُ بن هَمَّامٍ ، كتب عمر - رضي الله عنه - إلى عثمان بن أبي العاص الثقفِيَّ لما ولاه البحرين : إنَّ سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - كتب إلى أمير المؤمنين أنَّ عَدُوَّ الله يَزْدَجُرْدُ بنَ شَهْرِيَّارٍ ، لما قطعنا دجلة إليه تدلَّى ليلاً من سُورِ المدينة - يعني المداين - ولحق بأصطخر ، فزعموا أنها حِيَالٌ أَرْضِكَ فاقطع بِمَنْ قَبْلَكَ من المسلمين إليه . فهض ونهضوا معه إلى السابور ، مدينة بساحل البحر ، فهال عثمان ضجيجُ البحر ، فجمعهم وقال : هذا شيء ماركته قَطُّ ، وقد أُرْمَعْتُ أَنْ استعمل عليكم رجلاً منكم يصلح لذلك ، فتنافسوا في ذلك ، فوجه عثمان إلى سَوَّارٍ: مَنْ سَيِّدُ عَبْدِ الْقَيْسِ ؟ قال : أنا . وقال حسان بن حُدَيْرٍ مَثَلُهُ ،

فخلا بكل منها ، فقال : من بَعْدَكَ سَيِّدُهُمْ ؟ فأجمعوا على هرم بن حيان بن مالك بن سلمة بن عمرو بن عَبِيدٍ وَدِّ بْنِ ثعلبة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن ثعلبة بن الحارث ، بطن في بني عامر بن الحارث ، فاستعمله عليهم ، وكان وفد مع الجارود في وفد عبدالقيس ، وذكروا أَنَّ النبي ﷺ مسح وَجْهَهُ بيده ، وكان يسيح في الفلوات فجاج يوماً ، فما شعر إلا برطب بين يده ، فأكل وحمد الله تعالى ، فكان يقال له : الْمُطْعَمُ رُطْبَ الْجَنَّةِ . وقال : لم أَرُ كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربا ، وقتل (شَهْرَكَ) ثم قُتِلَ . لم يذكره أبو عمر ولا ابن فتحون ، وفي «أسد الغابة» : هرم بن حَيَّان من صغار الصحابة ، ذكر خليفة عن الوليد بن هشام عن أبيه عن جده : وجه عثمان بن أبي العاص هرم بن حيان إلى قلعة بجرة ، ويقال لها : (قلعة الشيوخ) سنة ٢٦ (فافتتحها عنوة وسيى أهلها) (٣) .

وفي سنة ثمان عشرة حاصر هَرِمٌ أَبْرَشَهْرَ ، فرأى ملكُهُمْ امرأةً تأكل ولدها من شدة الجوع والحصار ، فصالح هَرِمًا على أن خَلَّى له المدينة . أخرج أبو عمر .

رجع : قال : وابنه عبدالله استعمله معاوية على مكران وقنذاييل والقيقان ، وهو أول من غزاهن ، فقتل بها هو وأصحابه ، وكان شيخاً وهَاباً مِطْعَاماً أَمْرَ الأَتُوْقَد نَارٌ فِي عسكره غير ناره ، لأنه كفاهم مُؤَنَّةَ الطعام ، وهم أربعة آلاف ، فرأى ليلة ناراً ، فقيل : إن امرأة ولدت ، فَعَمِلَ لها خَبِيصٌ ، فأطعم الناس الخبيص أسبوعاً حتى أجموه .

ومنهم ضَبُّ بن مالك ، وَضِمَارٌ من بني ثعلبة بن الحارث ، رهط هرم بن حيان ، كانا في الوفد أيضاً .

ومنهم عبدالله بن الدفي كان شريفاً ، وفد على رسول الله ﷺ .

ومنهم النعمان بن مورك (٤) سيد أهل زمانه ، وفد على رسول الله ﷺ ، ولم يذكرهم كلهم أبو عمر ولا ابن فتحون . انتهى .

٣ - وقال الأسود الأعرابي في كتابه «فرحة الأديب» (٥) في شرح قول تَلِيدِ

العَبْشَمِيِّ :

انتنا بنو قيس بجمع عرمم وشنّ وأبناء العمور الأكابر  
وقبله :

شفينا الغليل من سمير وجعون وافلتنا رب الصلاصل عامر  
العمور من عبدالقيس : الدليلُ وعجلُ ومحارب بنو عمرو بن وديعة بن لكيز .  
وأورد شعراً وخبراً فيه أن رهطاً من عبدالقيس وفدوا على عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه فتحاكموا إليه في هذا الماء - اعني الصلاصل - فأنشده بعض القوم قول  
تليد العبشمي هذا ، ففضى بالماء لولد عامر هذا .

وأورد الخبر ياقوت الحموي في « معجم البلدان »<sup>(٦)</sup> ، وقد أصبح هذا الماء  
بلدة مسكونة في وادي الجوف شمال الأحساء .

٤ - وفي وقعة الجمل - التي حدثت سنة ٣٦ من الهجرة<sup>(٧)</sup> - كانت قبيلة  
عبدالقيس ممن انضم إلى الإمام علي - رحمه الله - وكانت تلك القبيلة على ثلاثة  
رؤساء : جذيمة وبكر على ابن الجارود ، والعمور على عبدالله بن السوداء ، وأهل  
هجر على ابن الأشج .

وهذا يدل على أن العمور - وهم بنو عامر ومن انضم إليهم من فروع ربيعة -  
يوازن شطر عبدالقيس ، باعتبار أهل هجر من ألاف السكان من الحضر .

وهذا الانعطاف في المنحنى السياسي لتلك القبيلة في ذلك العهد المبكر يوضح  
جوانب من اتجاهها - فيما بعد - اتجاهاً مضاداً لواقع المجتمع الإسلامي العام في  
العهد الأموي والعباسي ، ومن هنا وجد الخوارج في بلاد البحرين وفي اليمامة  
- أيضاً والنفوذ في قاعدتها لبني حنيفة من ربيعة - من الاستجابة والمناصرة  
ما أقض مضاجع القائمين بالحكم من بني أمية ، كما وجدت الدعوات المناوئة  
لخلفاء بني العباس بين قبائل البحرين - وعمادها بنو عامر وإخوتهم من  
الرَّبِيعِيْنَ - ما مكنها من الاستقرار فترة من الزمن ، بصرف النظر عن مبلغ تأثر  
تلك القبائل بما تنطوي عليه تلك الدعوات من أفكار وآراء ، هي أبعد ما تكون  
عن إدراك طبيعة ابن البادية الذي فطرت جبلته على البساطة ، وعدم التعمق في

التفكير ، كما طُبع على الاستجابة لما يلوح له من مآرب لأول وهلة ، وقديماً  
وُصِفَ بأنه ( كَالْقِرْلَى ، إن رأى خيراً تدلّى أو رأى شراً تعلّى ) .

لقد كانت الدولة العباسية في - بغداد - منصرفة عن هذه البلاد ، فلا غرو أن  
ينصرف أهلها عن تلك الدولة ، وهذا ما حدث عندما ظهرت حركة ( القرامطة )  
التي توقع بنو عامر وغيرهم من القبائل أن يجدوا خلاها منطلقاً إلى ما كان مألوفاً  
بينهم في مختلف العصور الماضية ، ووجد دعاة تلك الحركة أن من اليسير توجيه  
تلك القبائل إلى أهدافهم ، متى أُشِبت رغبات رؤسائها بما يطمحون إليه من  
وسائل الحياة ، وما أيسرها وأكثرها في هذا القطر الذي يمتاز على غيره من أقطار  
الجزيرة بالخصب ووفرة المياه ، واتصاله بموانئه وخليجانه بالعالم ، ويُعَدُّه عن قاعدة  
الخلافة ، فلوَّح أو تلك الدعوة بما لظاهر تلك الدعوة من مظاهر الخداع والتضليل  
مما يستهوي العامة ، وملاً أيدي الرؤساء وأرضوا نفوسهم برغباتهم ، فكان أن  
قامت تلك الحركة ، واستقرت في ذلك القطر بمنصرة قبائله حتى قضى عليها  
العيونيون بمنصرة بني العباس .

٥ - ولكن بني عامر ومن لَفَّ لفهم لم يُمكنوا العيونيين من الثبات والاستقرار ،  
مع ما كانت تُمدُّهم به الدولة العباسية من مؤازرة ومنصرة ، كان من أثرها أن أول  
أمراء العيونيين لما قام بمحاربة القرامطة استمر على ذلك نحو سبع سنوات ،  
وكان الذي يتولى حربه هم بنو عامر الذين كانت القرامطة قد أجزلت لرؤسائهم  
العوائد والجرّيات ، ومكنتهم من أمور البلاد ، ولكنهم بعد الهزيمة لم يدعوا الأمير  
العيوني ينعم بالاستقرار ، بل قاموا بحربه ، وقد تمكن من الانتصار عليهم بعد  
أن كانت الحروب في عهد القرامطة قد انهكتهم ، فانهزموا مترقبين فرصة تمكّنهم  
من أخذ الثأر ، أما ما ورد في شرح « ديوان ابن مقرب »<sup>(٨)</sup> من أن عبد الله بن علي  
أبار عامر بن ربيعة غاية البوار ، وأخذ جميع أموالهم وسبى نساءهم وذريتهم ،  
وبعد ذلك من على الحُرْم وسيرهم إلى عُمان ، ثم ما نقله صاحب « تحفة  
المستفيد »<sup>(٩)</sup> من أنهم انهزموا ، فمنهم من هرب إلى العراق ، ومنهم من ذهب إلى  
عُمان . فالمقصود بهذا الفئة التي حاربت ، إذ لاشك أن هذه القبيلة كانت في ذلك

العهد على درجة من الكثرة ، بحيث لا يُتَصَوَّرُ أن الحاكم العيوني قضى عليها ، أو أخرجها كلها من بلادها .

٦ - ونجد الإدريسي ينقل في كتابه « نزهة المشتاق »<sup>(١١)</sup> ما هذا نصه : ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة برمتصل ، لا عمارة فيه - أي ليس به حصن ولا مدينة - وإنما هو أخصاصٌ لقوم من العرب يسمون عامر ربيعة . انتهى ، والإدريسي هذا توفي سنة ٥٦٠ هـ ، ولكن يظهر انه نقل هذا من كتاب العُدْرِيِّ أحمد بن عمر بن انس الذي ألفه سنة ٤١٤ كما يفهم من كلامه على الجار<sup>(١١)</sup> .

٧ - بل نجد ما هو أوضح من هذا ، وهو أن هذه القبيلة كانت ذات تغلغلٍ ونفوذ قوي بين رجال الدولة ، أثناء حكم العيونيين ، بحيث انهم قتلوا أحد مشاهيرهم ، وهو الأمير محمد بن أحمد بن الفضل ، فقد ذكر الحسن بن علي ابن شدقم المدني (٩٤٢ / ٩٩٩) في كتابه « زهر الرياض »<sup>(١٢)</sup> ان اصهار هذا الأمير من (العمائر) قتلوه ، وتولى بعده عزيز بن الحسن بن شكر . وذكر بعد ذلك أن (العمائر) حاربوا الفضل بن محمد بن أحمد وملكوا أميراً بعده .

٨ - ويزخر شعر ابن المقرب الأحسائي الذي عاش إبان حكم العيونيين في الأحساء بالإشادة ببني عامر أولئك ، فيقول في مدح أحد أولئك الأمراء<sup>(١٣)</sup> :

يُنْمَى إِلَى الشَّمِّ الْغَطَارِفِ وَالذُّرَى      مِنْ حَارِثٍ وَالسَّادَةِ الْحُكَّامِ  
وَلِحَارِثٍ عُرِفَتْ رِئَاسَةُ عَامِرٍ      فِي جَاهِلِيَّتِهَا وَفِي الْإِسْلَامِ

وَيُسَمَّى بَعْضُ بَطُونِ بَنِي عَامِرٍ فَيَقُولُ :

وَمَنْ ذَا يُسَامِي مُرَّةً وَبِهِ سَمَتْ      بَنُو عَامِرٍ عِزًّا وَجَارًا اغْتِشَامُهَا  
وَكَمْ سَيِّدٍ فِي مَالِكِ ذِي نَبَاهَةٍ      إِذَا فَقَدْتَهُ الْحَرْبُ طَالَ أَيَامُهَا  
وَمَا مَالِكٌ إِلَّا الْحِمَاةُ وَإِنْ أَبَتْ      رِجَالٌ فَبِالْأَنَافِ مِنْهَا رَعَامُهَا  
وَفِي حَارِثٍ وَاللَّيْثِ عُرٌّ غَطَارِفٍ      يُبْرُّ عَلَى الْخِصْمِ الْأَلَدَّ خِصَامُهَا  
وَإِنَّ لِعَمْرِي فِي بَقَايَا مُحَارِبٍ      سُيُوفٌ ضِرَابٍ لَا يُخَافُ انْتِلَامُهَا

ويقول :

لِكُزَيْبَةَ أَنْسَأُهَا عَامِرِيَّةً  
إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي بِهَا : يَالَ عَامِرٍ  
مُقَدَّمُهَا مِنْ صُلْبِ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ  
مَنْ الحَارِثِيَّينَ الأُولَى فِي أَكْفِهِمْ  
وَمَنْ مَالِكِ بِنْتُ الفَخَارِ بْنِ عَامِرٍ

ويقول :

ولولا بنات العامرية لم أكن  
لقد كان لي بالأهل أهل وبالغني  
ولكنني أخشى عليهن أن يرى  
مقاساة ضر أو معاناة غربة  
وأنف أن يضحن في غير معشري

إلى غير ذلك مما لاداعي للاطالة بذكره .

٩- ويأتي ابن فضل الله العمري في كتاب « مسالك الأبصار في ممالك  
الأمصار » فيتحدث عن بني عامر هاؤلاء مُحددا منازلهم ، وذاكراً بعض بطونهم ،  
مُفرقاً بينهم وبين بني عامر بن صعصعة بما هذا نصه<sup>(١٤)</sup> : عقيل : وهم من آل  
عامر ، قال الحمداني : وهي غير عامر المُتتفق ، وغير عامر بن صعصعة ،  
قال : ومنهم القديمات ، والنعام ، وقبات ، وقيس ، ودنفل ، وحُرثان ، وبنو  
مُطرق . وذكر أنهم وفدوا في الأيام الظاهرية صُحبة مُقدمهم محمد بن أحمد  
ابن العقدي بن سنان بن عُقيلة بن شبانة بن قديمة بن نُبّاة بن عامر ، وعوملوا بأتم  
الإكرام ، وأفيض عليهم سابع الإنعام ، ولحظوا بعين الاعتناء . قلت : وتوالت  
وفاداتهم على الأبواب العالية الناصرية ، وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها ،  
فاستجلبت النائي منهم ، وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل بتسهيل الطريق  
لوفودهم ، وقصدهم ، وتأمينهم في الورد والصدر ، فانثالت عليه جماعتهم ،  
وأخلصت له طاعتهم ، وأتته بأجلاب الخيل والمهاري ، وجاءت في أعتتها وأزمتها  
تبارى ، فكان لايزال منهم وفودٌ بعد وفودٍ ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ←



## « الهوامل والشوامل »

لأبي حيان التوحيدي ومسكويه . نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر . القاهرة .  
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة لجنة . . . ، ١٣٧٠/١٩٥١ - ٣٩٩ ص  
١ - من المقدمة : (كتاب «الهوامل والشوامل» في الحقيقة كتابان لمؤلفين كبيرين :  
أسئلة من أبي حيان التوحيدي سماها «الهوامل» وأجوبة من مسكويه سماها

→ لا يزال يسد فضاء تلك الرحاب ، وتغص بقبابه تلك الهضاب ، بخيامٍ مشدودةٍ  
بخيامٍ ، ورجال بين قعودٍ وقيامٍ . وكانت الإمرة فيهم في أولاد مانع إلى بقية  
أمرائهم وكبرائهم ، ودارهم الأحساء والقَطِيفُ ، ومَلِجُ ، وأنطاعُ ، والقَرعاءُ ،  
واللَّهابةُ ، وجُودةُ ، ومُتالِعُ . انتهى .

### [ للبحث صلة ]

## حمد الجاسر

[ الحواشي ] :

- (١) «معجم ما استعجم» : ٨٠ .
- (٢) «معجم ما استعجم» : ٨٨ .
- (٣) «تاريخ خليفة بن خياط» .
- (٤) نسبه ابن حجر في «الاصابة» إلى همدان - ناسبا ذلك للرشاطي - وذلك بخلاف مانقله البليسي وعن كتاب الرشاطي «اقتباس الأنوار» انظر «العرب» س ١٧/٤٧١/٧٢١/٩٣٤ .
- (٥) ٦٣ . (٦) رسم (صلاصل) .
- (٧) «تاريخ ابن جرير» ٤/٥٠٥ ط دار المعارف بمصر .
- (٨) ص ٤٤٤ الطبعة الهندية
- (٩) ١٠١/١ .
- (١٠) ص ٣٨٦ الطبعة الأوربية .
- (١١) انظر «العرب» س ٤/١١٢٣ وس ١٢/٣٢٣
- (١٢) الكتاب مخطوط في المكتبة التيمورية في دار الكتب المصرية رقمه ٦٣٧ (تاريخ) ولم يذكر اسم الكتاب ولا اسم مؤلفه ، ولكنني استطعت معرفة ذلك - انظر «العرب» س ٨٥/٩ - و«رحلات حمد الجاسر» - ٢٤٥ .
- (١٣) ديوانه : طبعة الدكتور الخلو بمصر عام ١٣٨٣ ، صفحات ٣٩/٤٢/٤٦٢/٥٠٤ على التوالي .
- (١٤) ١٥١ الجزء المخصص لأنساب العرب . . تحقيق دوروتيا كرافولسكي - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ . (١٩٨٥ م) .

«الشوامل» ومعنى «الهوامل» الإبل السائمة يهملها صاحبها ويتركها ترعى .  
و«الشوامل» الحيوانات التي تضبط الإبل الهوامل فتجمعها... .

أ - قوله : (كتابان) . أحسن منه (رسالتان) . وقد ورد النص على أسئلة أبي حيان بالرسالة ، وكذلك النص على أجوبة مسكويه - ينظر فهرس الكتب .  
ب - سَمَّى أبو حيان رسالته (أسئلته) بالهوامل (تنظر ص ٣) ولم نجد في الكتاب (وينظر الفهرس)، ما ينص على أن مسكويه سَمَى رسالته (أجوبته) بالشوامل .

ج - في وصفنا أسئلة أبي حَيَّان بالكتاب مُجَوِّرٌ كبير ، وإلَّا فالكتاب - لدى التحقيق - هو كتاب مسكويه . وكان المناسب أن نقدم اسم مسكويه على التوحيدي ...

٢ - كتب المقدمة أحمد أمين وكأنه الفاعل الأول في التحقيق ، وختمها بقوله :  
(... .) وقد شاركني في إخراج هذا الكتاب الأستاذ السيد أحمد صقر بل كان نصيبه في تصحيح الكتاب والتعليق عليه أكثر ممالي . فله جزيل الشكر على ما قام به) .  
هذا اعتراف خجول بأن الفاعل الأول هو السيد أحمد صقر . بل يمكن القول - بناءً على استقراء غير قليل - أن ما لأحمد أمين في الكتاب لا يزيد على ثلاثة أمور (١) المقدمة ، (٢) قراءة الكتاب قبل طبعه (٣) تسهيل النشر - وهو رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر -

ولنلاحظ أن أحمد أمين لم يورد كلمة (التحقيق) في مقدمته وإنما قال : (إخراج هذا الكتاب . ولاشكَّ في فاعليته في (الإخراج) . وأنه لم يرد على غلافي الكتاب (تحقيق) فلان وفلان وإنما جاء (نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر) ، ومكانة أحمد أمين في النشر لا غبار عليها - أما في التحقيق فعليها غُباراً !

٣ - جاء في المقدمة : (والنسخة التي بأيدينا ، والتي نشرنا عنها هذا الكتاب هي فيما نعلم النسخة الوحيدة في العالم) . وجاء قبل ذلك : (وقد رأينا كتاب «الهوامل والشوامل» مهملاً في ثنايا الكتب في مكتبة (أيا صوفيا) بالأستانة (... .) وقد عثر عليه الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، أثناء بعثته من الجامعة

العربية إلى الأستانة لتصوير الكتب القيّمة ، فكان هذا الكتاب مِمَّا صوره  
منها . . . )

أ - الذي رأى كتاب «الهوامل والشوامل» مُهملاً . . هو محمد بن تاووت  
الطنجي ، وليس أحمد أمين .

ب - تصوير الكتب: تصوير المخطوطات ، أو تصوير الكتب المخطوطة .  
ج - من (أوليات) التحقيق (والنشر) إثبات صورة لصفحة أو أكثر من  
صفحات المخطوط ، ولكن (الناشرين) لم يفعلوا ذلك !

٤ - بدأ أحمد أمين أميلاً إلى أبي حيان منه إلى مسكويه ، فأثر ذلك الميل في  
أحكامه وإذا كان مسكويه - أسوأ تعبيراً من أبي حيان فلا أنه يتكلم في الفلسفة ،  
وليس سهلاً تذليل الفلسفة للتعبير ، ثم إنه - يُجيبُ ، والجواب أطول من  
السؤال . وإلاً فلم يكن مسكويه سيئاً التعبير ، بدليل الصفحة التي نقلها  
أحمد أمين في المقدمة (ص هـ) .

٥ - وفي المقدمة (ص ز): (ويظهر أن سنَّ أبي حيان ومسكويه متقارب إلا أنّ  
مسكويه يكبره قليلاً ، ولكن شهرة مسكويه بالعلم أكبر من شهرة أبي حيان ،  
وكان أغنى لأنه كان خازن بيت المال ، وخازن الكتب لعضد الدولة ، وعلى حدِّ  
تعبيرنا الحديث وزيراً للمالية ومديراً لمكتبته . . . ) .

أ - السن . . مُتقاربة - لأن السن مؤنثة .  
ب - ما كان لأبي حيان ليتوجَّه بالأسئلة إلى مسكويه لو لم يكن مسكويه على  
مكانة علمية سامقة ، وأفقٍ واسع . . . - ولقد تأثر أحمد أمين بالأحكام المتناقضة  
التي أوردها أبو حيان عن مسكويه في «الامتاع والمؤانسة» .  
ج - بالكلام على مسكويه هنا حاجة إلى تثبُّت .

٦ - ص (ح) من المقدمة: (وقد عمر الاثنان طويلاً ، فقد مات أبو حيان سنة  
٤١٤هـ عن نيّف وتسعين سنة كما ذكر القزويني . وقال في «روضات الجنات» إن  
أبا علي مسكويه عاش طويلاً حتى سئم الحياة . . . ) وقد مات سنة  
(٤٢١هـ . . . )

أ - الإثنان - بهمزة قطع : الاثنان بهمزة وصل .  
ب - وقال في : «روضات الجنات» : وجاء في «روضات الجنات» . أو : وقال  
الخوانساري . . لثلاثا يذهب ظن من لا علم له بالمصادر إلى أن الذي (قال) هو  
(القرويني)!

٧ - نسي أحمد أمين (ص و- ز) وهو تحت طائلة التقليل من شأن مسكويه ،  
أن يذكر له «تجارب الأمم» في التاريخ : - غير مانسي : أو تناسي .

٨ - بدا مسكويه في رسالته (أجوبته) مثلاً لَوْعِي مَنهج البحث وتَّحديد المهمة  
الأساس في العمل . جاء على (ص ٤) : (وشرطنا إذاً تكلمنا في مسألة أن نين  
عويصها ، ونشرح مشكلها ، فإذا تعلق ذلك بكلام مسبوق مقرر ، وأصل  
محكوم به مثبت ، قد شرحه غيرنا وبينه ، لاسيما لرجل مشهور بالحكمة ، عليّ  
الدرجة فيها - أرشدنا إليه ، ودللنا على موضعه فإني رأيت فَعْل ذلك أولى من  
تكلف نسخته ونَقَله ، والتكثر به مع ذكره إيماءً واختصاراً . .) - وتنظر  
ص ص ٢٦ ، ٥٦ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ٢٥٥ ، ٣٦٩ ، ١٣٦ ، ١٥٢ ،  
٢١٥ .

٩ - عنوان الكتاب لا يدل على محتواه ، ومحتواه واسع ، أساسه الفلسفة التي  
عرف بها مسكويه وتميَّز حتى صارت لديه نظرة شاملة يُفسَّرُ بها كثيراً من الأحوال  
في الطبيعة وفي الإنسان . . . ولأرسطاليس مكانة خاصة لديه فهو (الحكيم) إذا  
وردت كلمة الحكيم . ويتصل بالفلسفة أمور من الأخلاق والدين .

ويمكن للغرب أن يجد في الكتاب مادة جديدة يجمعها إلى ما وجد عن الفلسفة  
اليونانية وأرسطو وأفلاطون وجالينوس . . . في كُتُبٍ أخرى مشهورة .

ثم إن الكتاب بعد ذلك مصدر مُهمٌّ - لا يَرِدُ على البال - في موضوع النحو  
واللغة ولأبَدٍ من البحث عن مواد اللغة والنحو عند غير المشهورين بها وفي غير  
كتبها المقررة وكلام عن اللفظ والمعنى ، والترادف والتضاد ، والفروق بين  
الكلمات . . . ومادة مناسبة للنقد الأدبي .

١٠ - ص ٧ : (وهذه الألفاظ الخمسة التي عدّها الحكيم ...)  
قال المحقق في الحاشية: (في الأصل: (الخمس) وتصحيحه واردٌ من جِهَتَيْنِ:  
الأولى أن مسكويه يتكلم في (اللفظ والمعنى) واللفظ مذكور. الثانية: وردت في  
مكان آخر على (الألفاظ الأربعة) (ص ١٠٣) .

على أن الألفاظ الخمس ليس خطأ إذا جعلنا المفرد (اللفظة) .

١١ - لمن يبحث عن أصول لألفاظ معاصرة نذكر (ص ١٠): (ولولا علمي  
بثقافة فطنتك وإحاطة معرفتك ، وسرعة تطلعك يفهمك ...)  
فهذا استعمال خاص لكلمة (ثقافة) .

١٢ - ص ٤ : (تكلّمنا في مسألة ... ) ، ١٣٤ : (الكلام في العلم) ٢١ :  
(نتكلم في الحروف المفردة) .

ص ٧١ : (سنتكلم على الحسد ... ) ، ٣٢١ : (تكلّموا عليه ... ) .

١٣ - ص ٧٨ ( ... لبعء الأعضاء الرئيسية بعضها عن بعض ... ) أعضاء  
الجسم . .

١٤ - ص ٨٤ - ٨٥ :

والظلم من خلق النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

وفي الحاشية يقول المحقق: البيت للمتنبّي كما في ديوانه ٢ / ٣٨٣ ، ويروى:  
والظلم من شيم النفوس الرواية الثانية (شيم) هي المشهورة الأساس في الديوان  
- فكيف التزم أبو حيان ومسكويه - وهما معاصران للمتنبّي بـ (خلق)؟!!

١٥ - ص ٨٥ : (ولشرح هذا الكلام، وتحقيق مائة القول في العدل وذكر  
أقسامه وخصائصه - بسط كثير ... )

قد تكون (مائية): ماهية .

١٦ - ص ٨٤ : (ماحد الظلم أولاً؟ فإن المتكلمين ينفكون في هذه المواضيع  
كثيراً ، ولا يُنصفون ، وكأنهم في الغضب والخصام) .

يقول المحقق في الحاشية: استعمل ينفك هنا في موضع انطلق وأفاض .  
أقول: قد تَحْتَمَل شيئاً غير هذا - أو مع هذا - بدلالة (ينصفون) المناظرة لها  
في الجملة الثانية .

١٧ - استعمل في جمع جواب: جوابات ، وأجوبة (ص ١١٠) .

١٨ - ص ١١٤ : (ولعلِّ ما هجر الناس زيارة مقابر الملوك والخلفاء ، ولهجوا  
بزيارة قبور أصحاب البتِّ والخُلُقَان ، وأهل الضعف والمسكنة) .

وللمحقق في الحاشية: (في «اللسان» البت: كساء غليظ مهلهل مربّع ،  
والجمع أبت وبتات ، والخلق: جمع خلق - بفتح الخاء واللام - وهو البالي) .

أ - الكلام لأبي حيان ، والمتنظر لدى المجانسة أن يأتي مع (الخُلُقَان) التي هي  
جمع ، جَمْعٌ للبتِّ مثل الأُبتِّ والبتات - أترى (البت) جمعاً في ذهنه؟  
ب - الخلق الأولى الواردة لدى المحقق خطأ مطبعي ، نبه عليه ، صحيحه:  
الخُلُقَان .

١٩ - ص ١١٧ : (الغير): الآخر ، من كان غيرك . . . - وهو مما تدخل  
عليه (ال) .

٢٠ - ص ١٤٥ : (لم يَشْمِزَّ الإنسان من جرح قد فُغِرْفُوهُ ، حتى إنه لينفر  
من النظر إليه) . ضبط المحقق (فغر) بضم الفاء وكسر الغين على ما لم يُسَمِّ  
فاعله ، وقال في الحاشية: (في «اللسان»: فغرفاه يفغره: فتحه) .

أ - لي إحساس بأن (فغر) - هنا - لازم وفوه فاعل ، لثقل أراه في البناء  
للمجهول . ولكنه إحساس فقط ، ولا دلالة له في نفسه . ورجعت إلى «اللسان»  
فوجدت السند حيث يقول: (وفغر الفمُ نَفْسُهُ وانفغر: انفتح يتعدى ولا يتعدى)  
وفي «القاموس»: (فغرفوه وانفغر انفتح) - وعلى هذا لا لزوم لبناء (فغر) الواردة في  
سؤال أبي حيان لما لم يُسَمِّ فاعله .

٢١ - ص ١٥٠ : (ما السبب في قتل الإنسان نفسه عند إخفاق يتوالى

عليه . . . ) لم ترد عند العرب كلمة (انتحر) التي نستعملها في العصر الحديث ترجمة لكلمة أوربية .

٢٢ - ص ١٥٢ : ( . . . ) لذلك نأمر الأحداث بالسيرة الجميلة ، ونؤاخذهم بالأداب التي تُسَنُّها الشرائع ، وتأمر بها الحكمة) - يقصد التربية . . .

تري لم لم يقل: (نأخذهم) في مقابل ومناظر (نأمر)؟ سيقول ص ١٧٨ : (وينبغي أن نأخذ الأحداث والصبيان به أشد الأخذ . . . )

٢٣ - ص ١٦٢ : (الموسيقا) كذا رسمها مسكويه أو من نسخ عنه ، وهي ترد كثيراً على هذا الرسم ، وهو أنسب وأيسر من : (الموسيقى) .

٢٤ - ص ١٧٦ : (الشاعر بقوله :

وَإِذَا حَذِرْتَ مِنَ الْأُمُورِ مُقَدَّرًا وَهَرَبْتَ مِنْهُ فَنَحْوَهُ تَتَوَجَّهُ  
. . . . . كما قال الشاعر :

حَذِرُ أُمُورًا لِأَتَكُونُ وَخَائِفٌ مَالِيَسَ مُنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ

٢٥ - ص ١٨٠ : ( . . . ) تورطوا في مذهب بعيد من الحق . . . ) - لمن يبحث في تاريخ استعمال كلمة (تورط) . . . الشائعة في عصرنا .

٢٦ - ص ١٨٦ : (لِمَ اعْتَقَدَ النَّاسُ فِي الْكُوسِجِ أَنَّهُ خَبِيثٌ دَاهِيَةٌ . . . ؟) ويقول المحقق في الحاشية: (الكوسج الذي لاشعر على عارضيه)

وفي العامية العراقية: (أبو لحية الكوسة) وهذه اللحية شعر (غير كَثَّ) ينبت على الحنك ، ويخف أو ينعدم على العارضين .

ولحية كوسة - كأنها في الأصل: كوساء - وهي في العيوب والمذام .

٢٧ - ص ٢١٥ : قال مسكويه : ( . . . ) كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَفْرِدَ فِيهَا  
مقالة . . . )

مسكويه فيلسوف ، والمقالة لدى الفلاسفة الرأي والمذهب ، ولكنها جاءت هنا

– مع تضمنها الدلالة الفلسفية – بما يشبه – (الرسالة) .

٢٨ – ص ٢٨٢ : (لِمَ صَارَ العَرُوضِيُّ رَدِيءَ الشَّعْرِ...؟ أَلَمْ تُبَيِّنِ العَرُوضِ عَلَى الطَّبَعِ؟ أَلَيْسَتْ مِيزَانِ الطَّبَعِ؟ فَمَا بَالُهَا تُخَوَّنُ؟) – السُّؤَالُ لِأَبِي حَيَّانِ العَرُوضِ مُؤَنَّثَةٌ... .

– ص ٢٨٤ : (الرَّحَافَاتُ الَّتِي يَجِيزُهَا العَرُوضُ... ) – الجَوَابُ لِمَسْكُويهِ العَرُوضِ مَذْكَرٌ – لَعَلَّهُ يَقْصِدُ «عِلْمَ العَرُوضِ» .

٢٩ – ص : ٢٩٠ : الأَوَائِلُ بِمَعْنَى المَبَادِي وَنَسْتَعْمَلُهَا اليَوْمَ : (الأَوَائِلُ) وَأَوَائِلُ العِلْمِ... وَأَوَائِلُ المَنْهَجِ .

قال مسكويه : (إن هذه أوائل عند قوم في علومهم . وأعني بقولي أوائل أي إنهم يجعلونها مبادئ مُسَلِّمَةً بِمَنْزِلَةِ الأَشْيَاءِ الضَّرُورِيَّةِ مِنْ مَبَادِي الحَسَنِ والعقل... ) .

وربما دَلَّ شَرْحُهُ لَهَا عَلَى جِدَّةِ اسْتِعْمَالِهَا ، أَوْ خِصُوصِيَّتِهِ لَدَى الفَلَسَافَةِ : وَلَمْ يَشْرَحِهَا ص ٢٩٤ عِنْدَمَا قَالَ : (أَمَا قِيَاسُ النُّخُويِّينَ فَلَيْسَ مَبْنِيًّا عَلَى أَوَائِلِ ضَرُورِيَّةٍ... ) .

واستعمال (ضرورية) جدير بأن يَقْتَنِصَهُ دَارِسُ تَارِيخِ اسْتِعْمَالِ الكَلِمَاتِ – وَلا سِيَّما الشَّائِعَةِ فِي عَصْرِنَا – وَمِنْهَا (الضرورية) .

٣٠ – ص ٣٢٠ – ٣٢٧ : (أحمد بن عبد الوهاب) – لمن يبحث في الجاحظ ، و«التربيع والتدوير» .

٣١ – ص ٣٢٨ : (مسألة : حضرت مجلساً لبعض الرؤساء... )  
الرؤساء جمع رئيس ، وهم هنا أهل النظر ، والحكمة ، والفلسفة... ومن ذلك : الشيخ الرئيس ابن سينا - ولا علاقة لهم بالرئاسة الإدارية ، وفي الحكم .

٣٢ – ص ٣٦٩ : قال مسكويه : (هذا آخر ما سألت في «الهوامل» . وقد سلكت في الجواب عن جميعها المسلك الذي اخترته واقترحته من الاختصار



والإيماء إلى النكت والإحالة - فيما يحتاج إلى شرح - إلى مظانّه من الكتب .

أ - وردت تاء اختيرته وتاء اقترحته مبنيتين على الفتح ، وقد يكون الأولى (الضم) على أن يكون الفاعل هو مسكويه كما تدل سطور المقدمة . على أن التوحيدي طلب الایجاز كذلك ص ٢١٥ .

ب - العبارة دليل منهج (ومنهجية) في البحث - أي التزام بالخطة المعلن عنها في المقدمة .

ج - الأصل في المظان ما يظنُّ المرء وجودَ حاجته فيه على غير وجه التأكد ، يظنُّ أولاً : ويبحث ثانياً : وينتهي إلى نتيجته ثالثاً - أي إنه قد يجد ما يحقق ظنه ، وقد يخفق . ولكنها اكتسبت - فيما يبدو - معنى المصادر المتضمنة أكيداً الحاجة المطلوبة .

٣٣ - جاء في المقدمة (ص هـ) كلام لمسكويه هو ( . . . ) في كل حَلَق شَجَّسى ، وفي كل عَيْنٍ قَدَى) نقلاً عن ص ١ : (ففي كل حلق شجسى [ وفي كل عين قذى ] . . . )

وسيمر في صلب الكتاب ص ٢١٢ (وهي الشجا في الحلق ، والقذى في العين) .

٣٤ - ورد في المقدمة (ص هـ) من كلام مسكويه (يهجم) مضارع هَجَم ، بكسر عين الفعل (الجيم) ، ورد الفعل المضارع (يهجم بكسر الجيم) كذلك في الأصل (ص ٣) .

٣٥ - ص ٢٦ (مسائل طَبِيعِيَّة) :

والذي يرد (كثيراً) في الكتاب ص ٢١٥ مثلاً (الطبيعي) ، ص ٢١٦ : (الأمور الطبيعية) ولم يرد الطبيعي .

والطبيعية والطبيعي . . . هو الصحيح .

وقد ترد (الطبيعية) إلى الناشرين !؟

بغداد : الدكتور علي جواد الطاهر

## رحلة (تاميزيه) إلى الجزيرة العربية سنة ١٨٣٤م

- ١ -

**توطئة :** تهدم صرح الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٩م ودمرت عاصمتها ( الدرعية ) تدميراً تاماً ، وسيطرت القوات التركية المصرية على قسم كبير من الجزيرة العربية ، وحكمت البلاد بتعسف وظلم شديدين ، مما حمل الأهلين على شق عصا الطاعة ، وتأييد تركي بن عبدالله آل سعود مؤسس الدولة السعودية في دورها الثاني .

وما كان محمد علي باشا والي مصر ونائب السلطان ليرضى بهذا الوضع الجديد ، فأرسل الجيوش ليعيد الإمارات الثائرة إلى الحظيرة السلطانية . وكانت بلاد ( عسير ) تحلّ مركزاً هاماً في سياسته ، لاسيما وأن فتحها كان تم على يده سنة ١٨١٥ . ولكن سرعان ما قلبت له ظهر المَجَنِّ ، وأعلن حاكمها الأمير علي بن مجثل انفصاله عن الحكم التركي ، ثم هاجم منطقة ( أبو عريش ) واحتل بعض قراها ، فاضطر أميرها الشريف علي بن حيدر وكان حليف المصريين - ان يعلن ولاءه لصاحب ( عسير ) فأصبح بحكم الواقع من الخارجين على السلطان .

أثار اعتداء أمير ( عسير ) علي ( أبو عريش ) حفيظة محمد علي ، فجهز له حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا ومساعدة شريف مكة محمد بن عون . وما أن وصلت أخبار هذه الإعدادات العسكرية إلى مسامع الشريف علي بن حيدر حتى عاد إلى ولائه الأول اعتقاداً منه ان القوات التركية سوف تطحن العدو طحن الرحى . وأثناء ذلك توفي أمير ( عسير ) وخلفه على الحكم الأمير عايض . ولما علم بِرِدَّةِ حاكم ( أبو عريش ) هاجم عاصمته وطوقها ، ولكنه لم يتمكن من فتحها ، فعاد إلى جباله الشفاء ، وأخذ أهبطه لملاقاة جيوش محمد علي باشا .

وقد سرد علينا قصة هذه الحملة شاب فرنسي يدعى ( موريس تاميزيه ) ، كان في القاهرة في نهاية سنة ١٨٣٣ ، وعمره يومئذ احدى وعشرون سنة ، يبحث عن عمل يمكنه من السياحة في الشرق العربي . فوجد مطلوبه لدى رئيس أطباء

الحملة المصرية ، وهو فرنسي أيضاً ، كان بحاجة إلى كاتب وأمين . فقام ( تاميزيه ) بأعباء هذه المهمة وصحب البعثة الطبية من التاسع من شهر كانون الأول سنة ١٨٣٣ إلى نهاية ايلول من السنة التالية ، بعد ان عُقد الصلح بين أحمد باشا وأمير ( عسير ) فعاد ( تاميزيه ) إلى جدة ، ومنها أبحر مع صديق له في مقبل العمر أيضاً اسمه ( ادوار كومب ) في أوائل سنة ١٨٣٥ ، وسافرا من جدة إلى ( القنفة ) ثم ( جازان ) ومنها إلى ( اللحية ) ف ( الحديدة ) وتابعا طريقهما براً ، إلى ( بيت الفقيه ) ف ( زبيد ) ثم ( المخا ) ومنها بحرأ إلى جزيرة ( دهلك ) ثم إلى الضفة الغربية من البحر الأحمر لیتوغلا في مجاهل الحبشة خلال سنتين ، ووضعاً بعد عودتهما إلى ( فرنسا ) كتاباً في خمسة أجزاء عنوانه : « رحلة إلى الحبشة » نالا عليه جائزة من الجمعية الجغرافية الفرنسية .

وما كنا لنأتي على ذكر الرحلة الثانية ، على الرغم من أهميتها للدراسات الجغرافية ، لولا مايجاء فيها من وصف لبعض المدن الساحلية العربية التي ذكرناها آنفاً ، وسنعود إلى هذا الموضوع في نهاية هذه الدراسة التحليلية ، وقد كتبناها نزولاً عند طلب أستاذنا الشيخ حمد الجاسر حفظه الله ، وكان يرغب أن يُعَرَّب كتاب ( تاميزيه ) بكامله ، ولكن ضيق الوقت حال دون تحقيق هذه الرغبة .

ولابد لنا من الإشارة بادئ بدءٍ إلى أن ( تاميزيه ) وصاحبه ( كومب ) كانا يجهلان اللغة العربية قراءة وكتابة<sup>(١)</sup> ، إنما كانا يتكلمان إحدى لهجاتها ، ولعلها لهجة أهل تهامة ، ومع ذلك نراهما في نقاش مع كبار علماء زبيد ، في مجلس ترأسه المفتي ، فتبين لهما أن العلم قد عفا أثره من هذه البلدة . ثم حَدَّثَا الحاضرين عن التقدم العلمي الأوربي ، وعن صناعات (أروبا) الباهرة واختراعاتها المدهشة ، فأثارا إعجاب السامعين ، وعندما آذن الوقت بالإنصراف ، ترامى علماء ( زبيد ) على أقدام ( كومب ) و ( تاميزيه ) يقبلونها ، وأكبوا على أيديهما يلثمونها ، وحين ودعا المفتي سحب كل منهما يده بلباقة قبل أن يتمكن من تقييلها<sup>(٢)</sup> .

قد ذكرنا هذه القصة عمداً في مطلع هذا البحث ليكون القارئ على بصيرة مما في رحلة ( تاميزيه ) وصاحبه ( كومب ) من مبالغات لا يسلم بها العقل . ونجد

فيها أيضاً أحكاماً صارمة عن العرب والإسلام إن دلت على شيء فعلى جهل المؤلفين وغرورهما بسبب حداثة سنهما . ونحن في تحليلنا لكتاب ( تاميزيه ) سنمر بمثل هذه الأقوال مرَّ الكرام ، لأنَّ ما يهمننا في رحلته هو وصفه للواقع لا انطباعاته .

يقع كتاب ( تاميزيه ) : « رحلة إلى الجزيرة العربية » في جزئين ، من الحجم الوسط ( ٢١×١٧ سم ) ، يبلغ عدد صفحات كل جزء نحو أربع مئة صفحة . وقد اتبع فيها المؤلف أسلوب اليوميات ، مسجلاً مشاهداته بعد كل مرحلة ، حريصاً على تدوين كل ما يفيد الجغرافية والتاريخ وعلوم الإنسان .

**من القاهرة إلى جدة :** غادرت البعثة الطبية ( القاهرة ) في التاسع من شهر كانون الأول سنة ١٨٣٣ مع قفل خاص قاصدة مدينة ( السويس ) . وبما أن العدد الأكبر من أفرادها من الأوربيين النصارى فما كان باستطاعتها أن تنضم إلى قافلة الحجاج التي كانت على أهبة السفر إلى مكة المكرمة حاملة كسوة الكعبة الشريفة .

وبعد رحيل على الهجن دام ثلاثة أيام ، وصلت البعثة إلى ( السويس ) حيث استقبلها أحد التجار ، ودعا أفرادها إلى العشاء في منزله ، وتعجب ( تاميزيه ) لأنَّ رب البيت لم يأكل مع المدعوين ، وتساءل عن سبب ذلك ، أهو تعصب منه أو تواضع ؟ [ جاهلاً أن من عادة إكرام الضيف عند العرب أن يظل المضيف في خدمة ضيوفه ] .

ومن ( السويس ) أبحرت البعثة إلى ( جدة ) على سفينة شراعية ، تحمل عدداً كبيراً من الحجاج . وبعد أن مرت بـ ( عيون موسى ) و ( حمام فرعون ) أرسلت أمام ( بلد النصارى ) في مرفأ طور سينا . فقام ( تاميزيه ) بجولة سريعة في هذه المنطقة ووصفها . ثم تابعت السفينة طريقها ومَرَّت بالجزر أمام خليج العقبة ومنها إلى ( ضبا ) حيث استقى الملاحون من بئر عمقها نحو عشرين قدماً ، طيبة المياه ، وملؤا قِرَبَهُمْ منها .

وفي التاسع والعشرين من شهر كانون الأول أقلعت السفينة من جزيرة

( النعمان ) وبعد أن مرت بـ ( اصطلب عنتر ) فجزيرة ( كمران )<sup>(٣)</sup> ، أُلْقَتْ مرساها في مرفأ صغير اسمه ( العويش ) حيث تقام سوق للعربان يباع فيها الماء والتمر والملح الناصع البياض . ويخال لمن يرى بدو هذه المنطقة انهم كتلة من العصب والجلد . وهم أصحاب الأجسام يلبسون قميصاً أبيض ، ويحتدون نعلاً من جلد الماعز أو الجمل . أما سلاحهم فالبنديقية بفتيل ، والرمح والجنبية .

وفي مساء أول يوم من سنة ١٨٣٤ أرست السفينة في جزيرة صغيرة اسمها ( جبل حسن )<sup>(٤)</sup> لا ماء فيها ، يبلغ عدد سكانها نحو خمس مئة نسمة ، يعيشون من صيد الأسماك والغوص لقلع المرجان . أما الماء فيأتون به من البر بالفلاثك ( ص ٤٨ ) . وفي اليوم التالي التقينا بسفينة تحمل أيضاً بعض الأوربيين . وتبين لنا من ألبستهم أنهم بريطانيون ، لأن البريطاني يحتفظ عادة بألبسته ، ونظام معيشتة بكل مكان ، أما الفرنسي فإنه لا يتقيد بمثل هذه الأمور ، فهو بدويٌّ في الصحراء ، مصريٌّ في القاهرة وتركي في القسطنطينية ( ص ٥٣ ) .

وفي الرابع من شهر كانون الثاني وصلنا إلى ميناء ( ينبع ) ونزلنا إلى المدينة بالقوارب ، إلا الفقراء من المسافرين فإنهم خاضوا في اليم ، وقطعوه على الأقدام . ومدينة ( ينبع ) من أهم المدن الساحلية التي رأيناها منذ مغادرتنا ( السويس ) وهي محاطة بالأسوار ، جُدِّدَ بناؤها حديثاً ، وبعدهد من الأبراج زوّدها المصريون بالمدافع ، ولها بابان من جهة البحر ، أما من جهة البر فتحيط بها الأراضي الجرداء . إلا أنّ العرب المقيمين بقربها يأتونها بالمؤنة ، لأنهم يفلحون الأودية المجاورة ، ويزرعونها ، ومن أهم هذه الأودية ( ينبع النخل ) سُميت بذلك لتميزها عن ( ينبع البحر ) حيث ارست السفينة ، وينبع هذه بلدة ذات شأنٍ لأنها مستودع تجار المدينة المنورة ( ص ٥٤ ) .

ثم أقلعت بنا السفينة إلى الجاع (؟)<sup>(٥)</sup> Dja قرب رأس الحمة (؟) (Raj) Al-Hama) وبتنا في مرسى صغير ، غير بعيد عن قرية ( رابع )<sup>(٦)</sup> وهي من مواقيت الحج حيث يهل الناس بالإحرام . وفي اليوم العاشر من كانون الثاني وصلنا إلى مرفأ ( جدة ) وفي مساء هذا اليوم ظهر هلال شهر رمضان معلناً بابتداء الصوم ( ص ٦٢ ) .

أقامت البعثة الطبية عدة أسابيع بجدة ، ثم انتقلت إلى سهل غير بعيد عن ( بحرة ) وهي قرية تقع على مسافة ستة فراسخ من جدة وسبعة فراسخ من مكة ، ثم عادت إلى مركزها الأول حين أهل شهر ذي الحجة ، إذ امتلأت الطرق والشعاب بالحجاج ، حتى أن جدة خلت من سكانها ولم يبق فيها إلا النساء والأولاد والشيخ .

واستطاع ( تاميزيه ) خلال هذه الإقامة الطويلة من التجول في جدة ومشاهدة مبانيها وأحيائها ، فوصفها وصفاً سريعاً يمتاز بانطباعاته الشخصية وإنسانيته ، لأنه كان يجب الاختلاط بالسكان ، والتحدث معهم ليفهم عاداتهم وأخلاقهم ، ولكي يسهل عليه الاندماج بهم أرخى لحيته ، ولبس الألبسة الشرقية ، فركنوا إليه وأطلقوا عليه لقب ( شيخ افرنجي ) وقصوا عليه بعض الكرامات منها التي تَعَزُّو إلى النبي محمد إنشاء مدينة جدة ( ص ٦٧ وما بعدها ) ، وتمكن من زيارة قبر حوَّاء الذي كان هدمه ( الوهابيون )<sup>(٧)</sup> وأمر محمد علي باشا بإعادة بنائه .

ويصف ( تاميزيه ) أبواب جدة : ( باب مكة ، باب المدينة ، باب اليمن ) وأسوارها وأسواقها وأجمل مساجدها ، وأبدى إعجابه بشوارعها ، فهي عريضة ، مستقيمة ، نظيفة جداً لاسيما في شهر رمضان ، وبيوتها تكون غالباً من طابقين ، وأحياناً من ثلاثة طوابق ، وهي جميلة تزينها المشربيات ، أما الفقراء فيسكنون في أكواخ من الخشب والقش . ويرى السائح أجناساً شتى من الناس في هذه المدينة ، بالإضافة إلى العنصر العربي الذي يمثله خاصة عرب الحجاز واليمن ، ومن تلك الأجناس بعض فلاحي مصر وعدد من الأروام والأتراك والسودان .

ويذكر ( تاميزيه ) جنساً من السودان يعيش أفراده في حالة شديدة من البؤس والفقرة حتى أن مساكنهم من أحقر ما يمكن أن يتصوره إنسان ، وهم التكروريون ، من عبيد افريقيا . وهناك جنس آخر من السودان يتعاطون التجارة ، وهم من الغطرسة بمكان حتى أنهم ينظرون إلى من سواهم من الناس نظرة احتقار ، ويعلمنا ( تاميزيه ) أن أصلهم من السواكم (؟)<sup>(٨)</sup> .

ويلاحظ كاتب هذه الرحلة أن على وجه كل مسلم من مواليد الحرم آثار جروح

ملتزمة تكون على الوجنتين والصدغين ، وكأنها علامات فارقة ، وهي تشير إلى أن حاملها قد وُلد في الأراضي المقدسة المحرمة على غير المسلمين ، والسبب الداعي إلى وضع هذه السمات أن الحجاج إذا ما انتهوا من قضاء شعائرتهم ، كانوا يسرقون صغار أولاد أهل الحرمين ، فأشار السلطان سليم على سكان مكة والمدينة بوضع هذه العلامات على وجوه أولادهم وهدد بإنزال أشد العقوبات بكل من يقدم على خطف ولد يحمل هذه الوسوم ( ص ٩٢ ومابعدها ) .

ويحدثنا ( تاميزيه ) عن ألبسة أهل ( جدة ) ويرى أن ألبسة رجال الدين والعلماء والمشايخ لا تختلف عن ألبسة المثريين وكبار التجار إلاً بياضها الناصع ( ٩٥ ) . إلا أن الفرق ظاهر للعيان إذا ما قارنا بين ألبسة مختلف الطبقات الاجتماعية وخاصة بين الفلاح المصري والتاجر الهندي والموظف التركي . أما الأزياء النسائية فمن العسير جداً على السائح أن يعرفها ليتكلم عنها ، لأن المرأة لا تخرج من دارها إلاً مغطاة بملاءة كبيرة تحجبها تماماً ، حتى ان البغي نفسها ترتدي مثل المحصنة حين تمشي في الشوارع ، ولكن لها حيَّها الخاص حيث تتبرج كما تشاء ( ١٠٣ ) .

ويعلمنا ( تاميزيه ) أن من عادة عرب الحجاز أن يزوجوا أولادهم وهم صغار السن ، حتى ان بعض الفتيات يتمُّ زفافهن وهن في السنة السادسة من العمر ( ص ٩٩ ) .

ويقارن بين الضيافة عند العرب وعند الغربيين ، ويلاحظ أن العرب أكرم للضيف من الأوربيين ، لأن الضيافة في الغرب فكرية قبل كل شيء ، قوامها حسن الاستقبال ، ولطف الكلام ولباقة اللسان ، أما العربي فيحرص على رفاهية ضيفه المادية ، فيقدم له القهوة والنارجيلة [ أو المداعة على لغة أهل اليمن ] ، ويعطره ويبخره ويؤانسه ( ص ١٠٧ ) .

وبعد هذه الجولة الاستطلاعية عن أحوال ( جدة ) الاجتماعية يتحدث ( تاميزيه ) باقتضاب عن تاريخ هذه المدينة منذ دخول البرتغاليين البحر الأحمر سنة ١٥١٣ ، ومن جرَّاء هذا الحصار البحري ضُعِفَتْ أهمية ( جدة )

الاقتصادية ، ولكن المؤلف يتنبأ لها بمستقبل باهر ، إذا ما انحرفت السفن عن طريقها المعتاد أي الدوار حول ( إفريقيا ) لتصل إلى ( الهند ) عن طريق رأس الرجاء الصالح ، ويرى أنه من الأفضل أن تمر بخليج السويس ( ص ١٢٠ ) . ولا تفوته الإشارة إلى لطف المكّيين وظرفهم وأديهم ، إلا أنهم شديدي الأنفة ، اعتقاداً منهم أنهم أرفع شعوب العالم ( ص ١٤١ ) . وعلى الرغم من عزة أنفسهم فإن العلاقات بينهم وبين البعثة الطبية الأوربية كانت طيبة جداً ، حتى أن الشيبي أفندي ، وهو الذي يحمل مفاتيح الكعبة ، قبل دعوةً إلى العشاء وجهها رئيس الأطباء ، فحضر وحضر معه عدد من أكابر أهل جدة وأشرفها ، وحضر أيضاً بعض قادة الحملة ، وعلى رأسهم أحمد باشا ، وكان له من العمر نحو اثنتين وثلاثين سنة ، أسود اللحية ، وهو من العدد القليل من الجنود النظاميين الذين استطاعوا أن يحفظوا لحاهم بعد أن صدر أمر نائب السلطان بحلقها ورفع العمام ، عندما أعاد تنظيم الجيش المصري . وعلى الرغم من ذكائه وفطنته لا يحسن قيادة العساكر ، إذ تنقصه الإرادة وقوة العزيمة ، ويفضل العيش مع الحريم على مشقّات الحرب ، وإليه يعزو ( تمييزه ) أسباب فشل الحملة المصرية على ( عسير ) .

ووصف تمييزه أيضاً ( مكة المكرمة ) وإن لم يزرها ، إنّما سأل الناس عنها ، ونقل خاصة عن السايح ( بوركهارت ) الذي كان اعتنق الإسلام وزار الحرمين الشريفين ووصفها ، كما وصف جدة والطائف . والواقع أن ( تمييزه ) يقرّ صراحة بدينه له ويذهب إلى أن وصف ( بوركهارت ) لهذه الأماكن المقدسة فريد بنوعه ، لا يمكن لأحدٍ أن يأتي بمثله أو أحسن منه .

طالت إقامة البعثة الطبية في ( جدة ) وكانت تنتظر الجهاد للسفر ، وما أن وصلت الهجن حتى آذنت البعثة بالرحيل ، وودّع أعضاؤها اصدقاءهم العرب ، وساروا متجهين نحو الطائف ، تصحبهم لعنات أهل جدة ، إذ كانوا غير راضين بإقامة الأوربيين بينهم وأعربوا عن سرورهم بذهاب هاؤلاء الدُخلاء بعباراتٍ غير ودية ( ص ٢١٥ - ٢١٨ ) .



من جدة إلى الطائف : غادرت القافلة الصغيرة (جدة) في السابع عشر من شهر أيار سنة ١٨٣٣ تريد (الطائف) في يوم شديد الحرّ، إذ ارتفع الزئبق في الميزان إلى درجة ٣٨ مئوية داخل الخيمة . وكان يقودها خمسة عشر رجلاً من البدو، ويجرسها بعض الخيالة الأتراك ، فأعرب شيخ البدو - وكان من قريش - عن استيائه من هذه الصحبة ، لأنّ العربيّ لا يثق بالعثماني ، ويخشى أن يعتدي الأعراب على القافلة بسبب وجود الأتراك .

وعلّمنا (تاميزيه) أن هناك ثلاثة طرق تصل جدة بالطائف ، الواحد منها يمر بـ (حَدّة) ومكة ولا يسلكه إلا المسلمون ، والثاني يجتاز وادي فاطمة ، والثالث يمرّ أيضاً بـ(حَدّة) ومنها إلى (وادي الليمون) وهو الطريق الوحيد المفتوح لغير المسلمين . إلا أنّ البعثة أخذت الطريق الثاني ، وسمح لها بالمرور بوادي فاطمة لأنها تابعة للقيادة العسكرية .

وما أنّ وصلت القافلة إلى (وادي فاطمة) حتى ابتهجت برؤية البرسيم والنخيل وعين ماء جارية عذبة صافية إلا أنها حارة . ثم تابعت طريقها وشربت من ماء بئر باروت<sup>(٩)</sup> ، ومنها أيضاً تستقي قبيلة لحيان التي تقيم في هذه المنطقة .

ويتابع (تاميزيه) وصفه فيقول : وجدنا غير بعيد عن هذه البئر بعض الخرائب الهامة ، وهي تدل على أنّ بلدة كبيرة كانت قائمة في هذا المكان في غابر الزمن (ص ٢٤٥) . وبعد أن مررنا بشعاب ضيقة تسنمنا جبلا ، ثم انحدر بنا الطريق إلى (الزَيْمَة) حيث قضينا الليل .

ومن (الزيمّة) دخلنا في واد عميق طويل يمر بين جبال عالية جرداء ، ثم اجتزنا سهلاً شاسعاً تصب فيه مياه الأمطار ، وتجري بكل قوة نحو (وادي فاطمة) ووصلنا بعد ذلك إلى مجرى ماء يقال له (السَّيْل) <sup>(١٠)</sup> ، وفي هذه المنطقة تقيم قبيلة عُتَيْبَة ، وكانت الحرب مستعرة يومئذ بينها وبين هُذَيْل (ص ٢٥٢) .

ويحدثنا (تاميزيه) عن قبيلة عُتَيْبَة ويُعلِّمنا أنها أغنى من جميع القبائل التي رآها ، فهي تملك كثيراً من الجمال والنياق والغنم والماعز ، بل عندها أيضاً عدد كبير من الخيل النجدية الشهيرة .

تابعت القافلة مسيرها وغادرت ( السيل ) في ٢٢ أيار سنة ١٨٣٤ ، ثم اخذت طريقاً جبلياً صعب المرتقى ، ولاحظ ( تاميزيه ) أن البدو كانوا عبّدوه بالحجارة ، وضعوها على شكل درجات حتى تتمكن الجمال من اجتيازه دون مشقة ، لاسيما بعد الأمطار . وهناك عدد من الجبال التي عبّدت قممها على هذا الشكل ، وحفر البدو قناة إلى جانب الطريق المعبد لتسيل فيها المياه .

ويعلمنا ( تاميزيه ) أن العلاقات بين البدوي وجملة وُدِّيَّةٌ جدًّا ، فالبدوي يتحدث إلى جملة كما يتحدث إلى صديق ، ويغني له الأغنيات ليحثه على المسير [ وهو الحُدُو المعروف ] ، ويعده بالطعام والراحة بعد المشقة ، ولكن إذا تكاسل أو تقاعس فإنه ينتهره بالكلام ويشتمه .

وبعد سفر طال سبعة أيام وصلت القافلة إلى الطائف في الثالث والعشرين من شهر أيار ، حيث ضَرَبَتْ خيامها ، وأقامت في تلك الربوع الغناء عدة أسابيع ، تمكن خلالها ( تاميزيه ) من زيارة هذه البلدة ، والتنزه فيها ، ورؤية ضواحيها ، فوصفها ووصف أسوارها وبروجها وبساتينها وبعض عادات أهلها فقال : مدينة الطائف مبنية في سهل رمليّ تحيط به سلسلتان من الجبال ، ثم تنضم الواحدة إلى الأخرى وتجتمعان فنصبح المدينة بينهما كأنها في وسط حُدُوةٍ حصان مفتوحة إلى الجهة الغربية . وللطائف ثلاثة أبواب : الأول منها ، في الشمال الشرقي ، يقال له باب مكة ويعرف أيضاً باب ( السيل ) وباب الشريف ، وقد قام بتحصينه مؤخراً أحمد باشا ، وشيّد للدفاع عن المدينة قلعة مربعة الشكل ، وثانيها باب السلامة في الجنوب الغربي ، وثالثها باب ( أبو العباس )<sup>(١١)</sup> . وهناك أيضاً باب رابع اسمه باب التربة<sup>(١٢)</sup> ، إنّما صدر أمر محمد علي باشا بسده بعد أن انتزع البلد من يد ( الوهابيين )<sup>(٧)</sup> .

أما أسوار الطائف فبحالة جيدة ، يحيط بها خندقٌ عرضه عشرة أقدام ، وعلوه ثمانية لأماء فيه . ويقول ( تاميزيه ) : قد درت يوماً بهذا الخندق ، وعددت الخطوات ، فوجدت أنّ دور المدينة طوله ٣٦٧٥ خطوة ، وعليه تسعة أبراج أسطوانية الشكل ، وأربعة عشر على شكل حذوة حصان ، وبرج واحد مسدس الأضلاع ، وآخر مثل قطر الدائرة ، قليل الارتفاع .

ولم يبق من الأبنية التاريخية ما يستحق الذكر إذ هدم معظمها ( الوهابيون )<sup>(٧)</sup> ولم يسلم سوى جامع ( أبو العباس )<sup>(١١)</sup> أمام الباب الذي يحمل الاسم نفسه ( ص ٢٧١ وما بعدها ) .

وللطائف سوق واحد ، يقصده البدو خاصة ، يجد فيه المشتري أنواع الأثثار ، ومختلف البضائع التي تأتي بها القوافل من مكة ( ص ٢٨٢ ) .

أمّا بيوتها فأصغر من دور ( جدة ) ودونها جمالاً ، وهي مكونة من طابق واحد ، يعلو على الطابق الأرضي . ومن أجل دور المدينة دار كبير الأشراف أمام باب مكة ( ص ٢٨٣ ) .

ويتحدث ( تاميزيه ) عن تاريخ الطائف في عصر النبي وكيف كُسر صنمها اللآت [ كما هو معروف مشهور في كتب التاريخ ] . ويعلمنا أن ( الوهابيين )<sup>(٧)</sup> وعلى رأسهم عثمان المضايقي ، كانوا استباحوا البلد سنة ١٨٠٢ ، وذبحوا عدداً من أهلها ، وأن الطاعون الذي اجتاح الحجاز قضى أيضاً على كثير من سكان الطائف ، ولذا فإنها كانت يوم زارها صاحب الرحلة لا تعد أكثر من ألفين وخمس مئة نسمة .

وهذه المدينة معتدلة المناخ ، لا يتساقط فيها الثلج إلا نادراً . وقد سجل ( تاميزيه ) درجة الحرارة أثناء إقامته في الطائف فوجد أنها تتراوح صباحاً بين ١٨ و ٢١ درجة مئوية ، وظهرأً بين ١٥ و ٣١ ، ومساءً بين ٢١ و ٢٣ ، وفي منتصف الليل بين ١٦ و ١٨ . ويضيف ( تاميزيه ) أنه سجل الحرارة تحت خيمته ، أما في داخل البيوت فهي دون ذلك ( ص ٢٩١ ) ، وهذا المناخ المعتدل يجعل من الطائف مصيفاً ثرياً أهل مكة ، وهم يغادرون بلدهم من أوائل شهر حزيران ، هرباً من حرارتها الشديدة لينعموا بلطف هواء الطائف ، وجوها الصافي الذي لا مثيل له في كل البحر الأحمر ، على ما يقول ( تاميزيه ) حتى أنه استطاع - وهو داخل الخيمة - أن يقرأ بكل سهولة على ضوء القمر ، مع أنها كانت من القماش الغليظ المبطن ( ص ٣٤٣ ) .

وللطائف بساتين كثيرة جميلة ، يملك المكيون العدد الكبير منها

(ص ٢٩٨) . وهي تنتج مختلف الأثمار ، مثل التين والتوت والبرقوق والموز والرمان والليمون . أما النخل فقليل جداً لأن المناخ الجبلي البارد لا يلائم هذا النوع من الشجر . ومن أشهر ما تنتجه جنان الطائف العنب بمختلف أنواعه ، والورد الأحمر الذي يوزع في كل الحجاز .

ويتابع ( تميزيه ) وصفه فيتحدث عن الزراعة والفلاحة ، وعن الحيوانات والحشرات التي تعيش في الطائف والجبال المحيطة بها ، منها الغزلان والأفاعي والعقارب والجراد والنحل .

ثم يصف الطريق من الطائف إلى مكة نقلاً عن المعلومات التي حصل عليها من الذين اجتازوا هذه المناطق (ص ٣٤٧ - ٣٥٢) .

وفي آخر فصل من الجزء الأول - وهو الفصل الحادي عشر - يلاحظ ( تميزيه ) أن القارئ مازال يجهل الأسباب التي حملت محمد علي باشا على ارسال جيش نظامي ليحتل ( عسير ) [ وقد ذكرناها باختصار في التوطئة ] ، ولذا يسأل عنها أحد العارفين يدعى الدُسيري<sup>(١٣)</sup> وهو أحد أركان الحملة [ وابن القائد الوهابي الشهير عبدالوهاب أبو نقطة ، حاكم عسير تهامة في عهد الإمام سعود الكبير ، إنما ( تميزيه ) يعرفنا به في الجزء الثاني من الرحلة ] . فبسط له ( الدُسيري )<sup>(١٣)</sup> أسباب الحملة على ( عسير ) قائلاً : إن محمد علي باشا كان قضى على ( الوهابية )<sup>(٧)</sup> في نجد سنة ١٨١٩ ، بإيعاز من السلطان ، وظن أن أمرها قد تلاشى فإذا بها تبعث حية في بعض قبائل عسير ، وتحاول أن تعود إلى نشاطها الأول ، ولذا فقد صدر الأمر العالي باستئصال جذورها (ص ٣٥٩) . والواقع ان محمد علي يخشى أن يتمكن ( الوهابيون )<sup>(٧)</sup> من خلق أسس جديدة للقومية العربية مما يحول دون تحقيق أهدافه ، لأنه يريد أن يستولي على البحر الأحمر ، ثم على داخل الجزيرة العربية ، وعلى اليمن . ويقول ( الدسيري )<sup>(١٣)</sup> : ولاشك في أن شدّ أواصر القومية العربية أمر هام ونافع للمصلحة العامة ، ولكن كيف نستطيع أن نحقق هذا الحلم وكل بدوي يدعي لنفسه الإمارة ؟ .

فأجاب ( تاميزيه ) على سؤال ( الدسيري )<sup>(١٣)</sup> قائلاً : ( إن ( الوهابية )<sup>(٧)</sup> هي القوة الوحيدة التي تستطيع أن تجمع بين مختلف شعوب الجزيرة العربية ، ومن المؤسف أنها صُدت عن تقدمها وهي في اندفاعها الأول ، ولاشك عندي أنها ستعاود الكرة مرة أخرى ) ( ص ٣٦٢ ) .

وتابع الدسيري<sup>(١٣)</sup> تفسيره فقال : إن باشا مصر يريد أن يضع يده على اليمن . وهذا المشروع سهل التحقيق لأن إمام صنعاء قليل الخبرة ، وليس لديه القوات التي تستطيع أن تقف بوجه الجيش التركي . إلا أن هناك بعض القبائل الكبيرة التي تكره العثمانيين ، فهي لا تتأخر عن مدِّ يد العون إلى الإمام ومساعدته على ردِّ العدوان التركي ، ومن أهمها قبائل عسير ولذا يعمل محمد علي باشا على سحقها .

وبعد أن بسط ( تاميزيه ) أسباب الحملة المصرية على ( عسير ) يعلمنا أن قوامها ستة عشر ألف محارب بمعداتهم ، منهم ستة آلاف من البدو ، وكان الجيش على أهبة المسير من الطائف ، ولكن تنقصه الجمال للركوب وحمل الأثقال وبحاجة إلى مزيد من المؤنة . وبسبب قلة المياه وخوفاً من العطش قسم الجيش إلى قسمين الأول تحت قيادة رئيس الحملة أحمد باشا والثاني يقوده الشريف محمد بن عون .

ويختتم ( تاميزيه ) الجزء الأول من رحلته بوصف سريع لمنطقة ( أبو عريش ) لأن منها طارت الشرارة الأولى التي اشعلت نار الحرب ، وذلك لما هاجمها أمير ( عسير ) ويحكم هذه المنطقة الشريف علي ، وهو شيخ طاعن بالسن ، كان له من العمر نحو ثمانين سنة ، إلا أنه متوقد الذهن نشيط لا يكف عن الحركة . ويقول العارفون : إن عدد نسائه بين زوجات وسريات منذ أول نكاح عقده يبلغ مئتين وخمس وتسعين امرأة : وان عدد نساء حرمه — وهو في هذا العمر — لا يقل عن أربعين امرأة : هذا هو العدو الذي يريد أمير ( عسير ) أن يقضي عليه .

باريس : د . يوسف شلحد

( للبحث صلة )

[ الحواشي ] :

- (١) رحلة إلى الحبشة : ٦٤/١ .
- (٢) المصدر السابق : ٦٥/١ .
- (٣) جزيرة النعمان جزيرة لانزال معروفة ، تقع فيما بين الوحه وطبا جنوب بلدة طبا بنحو ٤٠ كيلا — انظر —

## الجيم

لأبي عمرو إسحاق بن مزارٍ الشيباني المتوفى سنة ٢١٠هـ تقريباً

وَطَوَّفَ بي صاحبُ كتاب « الجيم » بين مرابع العرب ومراتعهم ، في صحرائهم ، من خلال ما يورده من ألفاظٍ وُجِّمَ لشرحها ، ويتخذ منها مَوَادَّ لكتابه ، فيها طرافة وفيها استذكار لحياة عَاشَتْهَا أَجْيَالٌ قبلنا ، وَقَدْ آذنت بِصَرْمٍ وابتعادٍ عنا .

قد لا يكون ما أحسست به من إمتاع اثناء مطالعة هذا الكتاب مما لا يُشاركني فيه كل القراء ، ولكن مما لا ريب فيه أن من بينهم ممن عاش ذلك العهد الذي

---

→ قسم شمال المملكة ص ٣٢٢ من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » أما اصطبل عنتر فيقع في البر لا في البحر وكان من منازل الحجاج القادمين بطريق ساحل البحر الأحمر فيما بين ظبا والوجه . والجزيرة التي دعاها ( كمران ) غير معروفة في هذه الجهة ، ولعل الاسم محرف ، أو انه علق بذهن الرحالة اسم جزيرة كمران الواقعة في جنوب البحر الأحمر .

(٤) لعل الصواب : ( جبل حسان ) إذ في هذه الجهة جزيرة تدعى الآن ( جزيرة الحساني ) وكانت تدعى ( جبل الحساني ) انظر ( قسم شمال المملكة ) ص ٣٢٢ - ٤٣١ من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

(٥) لعله ( الجار ) وهو ميناء المدينة القديم .

(٦) رابع ليس من مواقيت الحج ، ولكن الميقات يقع بقربه على بعد نحو خمسة عشر كيلاً شرقه في طريق المتجه إلى مكة .

(٧) تكررت كلمة ( الوهابيين ) وهو وصف كان اطلق قديماً على القائمين بنشر الدعوة السلفية من قبيل التنفير عنها ، باعتبارهم ذوي نحلة مخالفة للإسلام ، ولكثرة استعمال هذا اللقب الذي وضع أولاً للنيل من اولئك أصبح الآن علماً يطلق على كل من اتصف بالسلفية أو ناصرها .

(٨) لعل صواب هذه الكلمة ( سواكن ) اسم المدينة المعروفة في السودان .

(٩) لعل الصواب ( البرود ) وهي بئر كانت معروفة إلى عهد قريب في تلك الجهة .

(١٠) أصبح السيل الآن اسم بلدة ، واسم هذا الموقع قديماً ( قرن المنازل ) .

(١١) صوابه ( باب ابن عباس ) لكونه بقرب المسجد الجامع الكبير الذي قُبر فيه الصحابي الجليل عبدالله بن عباس .

(١٢) قد يكون ( باب تربة ) لكونه يفضي إلى الطريق الموصل إلى بلدة تربة .

(١٣) صواب الاسم ( دوسري ) .

كان أبناء البادية وكثير من سكان المدن والقرى يعولون في كثير من شؤون حياتهم على ما تجود به تلك الصحاري الواسعة ، التي تحيط بهم ، من نباتاتها وحيواناتها ونتاج أنعامها .

ولن نتوقع من أبي عمرو - إسحاق بن مُرَّار الشيباني - مؤلف هذا الكتاب ، وقد فارق عالمنا منذ نحو اثني عشر قرناً ، أن يعرض علينا ملامح واضحة كاملة عن تلك الحياة ، لأنه لم يخصص كتابه لهذه الغاية ، ولكنه يلمع بالماعات قد نستشف من خلالها لمحاتٍ عن تلك الحياة .

من هنا رأيت إشراك القاري في عَرَضِ طَرْفٍ شَدَّتْ ذهني إلى التعلق بهذا الكتاب حتى أكملت قراءة أجزائه الثلاثة .

## ١ - في اللغة :

للعامية في بلاد نجد تعبيرات فصيحة ، يُظن أنها عامية ، وقد أوشكت تلك التعبيرات أن تموت ، وقد يكون من بين دارسي اللهجات من عُني بتدوين ما هو من هذا القبيل ، وما استرعى انتباهي منها :

١ - التَّجَوُّجِي : كثيراً ما تسمع قول أحد العامة : فلان يُجُوجِي - أي يذهب ويروح ، وقد لا يكون له غاية . وفي « الجيم » ١/١٣٥ : التَّجَوُّجِي : الذهاب في الأرض . قال الأسدي : تَجَوَّجَيْتُ .

٢ - تَحْتَحَتَ : يقال : صار القوم يتحتحون إلينا . أي يجتمعون ، وهذا تعبير فصيح ، ففي « الجيم » ١/١٤٠ : مازالوا يَتَحْتَحَتُونَ إلينا ، حتى اجتمع إلينا بشرٌ كثير .

ووقعت في المطبوعة : ( يتحتجون ) خطأ ، وحاول المحقق إعرابها فأعجمها فكتب : ولعلها ( يتنحنون ) !؟

٣ - الحَتْوَةُ : ويقولون للنساج : فلان يَحْتِي ، بمعنى يَنْسِجُ ، وفي « الجيم » ١/١٤٠ : أَحْتَيْتَ الْغُرَارَةَ ، وهو ان تحيط عليها بعد خيطها الأول بِحَيْطَيْنِ والاسمُ : الحَتْوَةُ . انتهى فهُنَا مُشَارَكَةٌ في اللَّفْظِ ومعناه .

٤ - حَرْقُصٌ : عندما تُشَاهِدُ الْمَرْءَ الْمُتَطَلِّعَ لِأَمْرٍ مَا ، كَثِيرَ الْحَرَكَةِ ، تُعَبِّرُ عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا : مَالِكَ تَحْرَقُصُ ؟ وَأَصْلُ التَّحْرُقُصِ التَّقْبُصُ ، قَالَ فِي « الْجِيمِ » ١٩٣/١ : وَالتَّحْرُقُصُ أَنْ يَتَقَبَّصَ الرَّجُلُ أَوِ الدَّابَّةُ مِنَ الْبُرْدِ أَوْ الْوَجَعِ .

٥ - الْحَفْرُ : يُسَمَّوْنَ فِي نَجْدِ الشَّقِيقِ الَّذِي يَصِيبُ طَرْفِي الشَّفَتَيْنِ عِنْدَ التَّقَائِمَا ( الْحَفَارِ ) وَفِي « الْجِيمِ » ١٧١/١ : الْحَفْرُ : بَثْرٌ يَخْرُجُ مِنْ لِثَّةِ الصَّبِيِّ ، وَيُقَالُ : صَبِيٌّ مَحْفُورٌ .

٦ - الْحَلِيْبَجَةُ : نَوْعٌ مِنَ الْأَكْلِ ، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ : اللَّبْنُ فِيهِ الرُّبْدُ ، وَأُورِدَ صَاحِبُ « الْجِيمِ » ١٩٢/١ :

وَأُسْقِي مَوْلِيَّيَّ لِيَأْكُلَانِي حَلِيَجَ السَّمَنِ بِاللَّبَنِ الْحَلِيْبِ وَلَعَلَّ أَصْلَهُ الْخَلْطُ وَ ( الْحَلِيْجُ ) مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الْمَفْضَلَةِ فِي نَجْدِ ، وَيَسْمَى ( الْمَرْقُوقُ ) .

٧ - الْحُبْرَةُ : قَالَ فِي « الْجِيمِ » ٢٢١/١ : الْحُبْرَةُ مِنَ الطَّعَامِ قِصْعَةٌ فِيهَا خَبِزٌ وَلَحْمٌ بَيْنَ أَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةٍ ، وَالْجَفْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ . انْتَهَى .

فَهَلْ إِطْلَاقُ كَلِمَةِ ( الْحُبْرَةُ ) الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي عَامِيَةِ نَجْدِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ السَّفَرِ يَشْتَرِكُونَ فِي طَعَامِهِمْ - هَلْ إِطْلَاقُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَأْخُودٌ مِنْ أَصْلِ الْمَعْنَى ؟

٨ - ذَنْ يَدُنْ : كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ قَوْلَهُنَّ وَخَاصَّةً فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَطْفَالِهِنَّ : صَارَ يَدُنْ عَلِيٍّ ، أَي يُلْبِحُ فِي طَلْبِ حَاجَتِهِ . وَفِي « الْجِيمِ » ٢٧٩/١ : مَا زَالَ يَدُنْ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ حَتَّى أَنْجَحَهَا وَهُوَ تَرَدُّدُهُ فِيهَا - ذَنْبًا - .

٩ - صَنَّهُ : الصَّنُّ نَوْعٌ مِنَ الضَّرْبِ ، تَقُولُ الْعَامَّةُ : صَنَّ فُلَانٌ رَأْسَ فُلَانٍ بَعْضَاهُ أَوْ بَحْصَاةً وَفِي « الْجِيمِ » ١٧١/١ : إِذَا ضَرَبَ الرَّجُلُ رَأْسَ الرَّجُلِ بِالْعَصَا قَوْلُنَا : قَدْ صَنَّهُ صَنَّهُ مَنَكْرَةً .

١٠ - الْعَمِيْتَةُ : كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ أَمَهَاتِنَا اللَّوَاتِي يَتَعَاطَنُ الْخِيَاطَةُ - وَقَلَّ بَيْنَهُنَّ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَحْسِنُهَا - نَسْمَعُهُنَّ يَسْمِيْنَ اللَّفَافَةَ مِنَ الصُّوفِ أَوِ الْقَطَنِ عَمِيْتَةً ، وَهَذِهِ



التسمية المستعملة في عصرنا تسمية فصيحة ، فقد جاء في كتب اللغة : **الْعَمِيَّةُ** لُفَافَةٌ مِنْ صَوْفٍ أَوْ شَعْرٍ تَجْمَعُ الْمَرْأَةُ . انظر « الجيم » ٢٩٥/٢ .

١١ - **المِزْبَى** : طَالَمَا كُنَّا وَنَحْنُ صِغَارٌ نَشَاهِدُ أَخَوَاتِنَا مِنْ نِسَاءِ الْبَادِيَةِ حِينَ يَفْدَنُ عَلَى الْقَرَى يَحْمِلُنَ أَطْفَالَهُنَّ عَلَى جُنُوبِهِنَّ ، وَقَدْ وَضَعْنَ أَوْلِيَّكَ الْأَبْنَاءَ فِي مِهَادٍ مَصْنُوعٍ مِنَ الْجِلْدِ النَّاعِمِ ، يُحِيطُ بِأَطْرَافِهِ عَصِيٌّ تَصُونُهُ مِنَ الثَّيْبِ ، وَتَحْفَظُ لَهُ اسْتِقَامَتَهُ ، وَكُنَّ يُسَمِّينَ ذَلِكَ الْمَهْدَ ( الْمِزْبَى ) بِمِيمٍ مَكْسُورَةٍ ، بَعْدَهَا زَايٌ فِبَاءٌ مَوْحَدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ، فَأَلْفٌ مَقْصُورَةٌ ، وَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ « الْجِيمِ » ٨٤/٢ : **المِزْبَى** مِثْلُ الْمَهْدِ مِنْ أَدَمٍ يُحْمَلُ فِيهِ الصَّبِيُّ : انْتَهَى ، وَالْغَرِيبُ أَنَّ مُحَقِّقَ الْكِتَابِ عَلَّقَ عَلَى هَذَا قَائِلًا : لَيْسَ فِي الْمَعْجَمَاتِ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ زَبِيبِ الشَّيْءِ : حَمَلْتَهُ « اللَّسَانَ » وَفِيهَا احْتِمَالُ التَّصْحِيفِ مِنَ الْمَرْبَى - بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ - انْتَهَى ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ كَلِمَةَ ( **المِزْبَى** ) - بِالزَّيِّ - لَا الرَّاءِ الْمَهْمَلَةَ - صَحِيحَةٌ وَلَيْسَ نَفْيُهَا مِنْ مَعْجَمَاتِ اللُّغَةِ بِصَحِيحٍ فَكِتَابُ « الْجِيمِ » مِنْ أَصُولِ هَذِهِ الْمَعْجَمَاتِ .

لم أحاول فيما تقدم ان استخرج ما في الكتاب من أمثال تلك الكلمات ، وإنما عرض لي ما قدمت منها لأوضح أن صلتنا بترائنا القديم تفتح لنا آفاقاً من المعرفة ينبغي أن نتعاهدنا دائماً لتزداد روافد تلك المعرفة .

## ٢ - في النباتات :

قل أن يوجد بين أبناء البادية أو من عاش في القرى قبل خمسين عاماً من مجهل ما اعتاد الناس في ذلك العهد من الاستمتاع أيام الربيع بمباهج رؤية ما تزدان به الأرض من نباتاتها الطيبة ، بل من لم يكن يرتاد الخلال الجني كثير من النباتات للأكل ، كالحوَاءِ والدَّعَالِيْقِ والبَسْبَاسِ والحُمَامُضِ والحَمَّصِيصِ وغير ذلك مما يؤكل ، ولجني الكمأة وما شابهها ، ومنها نوع من الفُطْرِ يسمي ( العُرْجُونُ ) ولعلك لو سألت بعض المعنيين بالدراسات اللغوية عن هذا النوع من النبات لاستغربه ، وفي كتاب « الجيم » ٢٤٢/٢ : العُرْجُونُ : مِثْلُ الْفُطْرِ ، أَوْ مِثْلُ ( فَسْوَةِ الضَّبْعِ ) ، وَهُوَ مِثْلُ الْفَقْعِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَطْوَلُ مِنْهُ ، وَقَالَ : حَمَلْتُ عَلَى جَمَلِهَا الرَّقْمَ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ عُرْجُونٌ مِنَ الحَمْرَةِ ، وَأَنْشَدَ :

## في خِدرِ مَيَّاسِ الدُّمَى مُعْرَجِنِ

وقول صاحب «الجيم»: (فسوة الضبع) هو ما كنا نسميه: (فسوة العجوز)، وهو نوع من الفطير، لا يُؤكل، لأنَّ رأسه يسودُّ ويمتلئُ بغيرٍ شديد السواد كالكحل، ولا يزال معروفاً بين أبناء البادية و(العجوز) هنا هي الضبع.

## ٢- في الحيوان:

ومع أن كتاب «الجيم» كتاب لغوي، خصَّص لشرح المفردات اللغوية إلا أنه قد يستطرد فيأتي بما يريح ذهن القارئ الذي قد يكون بحاجة الآن إلى أن يعرض له طرفٌ من ذلك، قال (٧٢/١) في شرح هذه الأبيات، ولعل إعجاب أبي عمرو بها دفعه للاسترسال في الحديث عن الضباب فسي ما هو فيه:

أرى بكفيه وأقعس رأسه وحظرب نفخاً مسكه فهو حاظب  
أي ملأن. قوله: أرى: أي أنشب كفيه في الأرض، يعني الضب.

فلما رأيت القبض يزداد فترة وأيقنت أن الضب لأبد ذاهب  
قمت وعيدان السليخة قد جدت جددو المرامي بين بادٍ وغائب  
وآخر أبدى عن ضلوعي خدشه ومستمسك تغطته فهو ناشب  
ودب على صدري ديباً ولبتي مع البرص الرزق العيون الحناظب  
خليل عذاب بين حزمين يرتعي أعاشيب مولي سفته الهضائب

السليخة: ما بقى من جذل العرفج وأصله.

وقال رجل من بني سعد: وأني جبلاً، يقال له: طمر، فاصطاد من ضبابه، وأرك به هو وأهله، فقال:

والله لولا أكلة في المرر بكيد بكشية بظهر  
لقد خلا منا قفا طمر

وقال: إذ كل شيء يتكلم، ولا يأكل الإنسان الضب، ولا يدري ما هو، فناده

ضَبُّ : يا إنسان ! يا إنسان ! حتى إذا نَظَرَ إليه قال : وَيَلَكَّ مَا تَرَكْتَ بِالْوَادِ ، تَرَكْتَ أَيَّمَا زَادٍ ، كَثَى بِأَكْبَادٍ !! فرجع إليه الإنسان فأخذه ، فقال : أُخِيكَ ، أُخِيكَ !! فأرسله ، فلما ذهب عنه ناداه بمثل الكلام الأول ، فرجع إليه ، فسحطه وأكله ، فلم يَزَالُوا به يأكلونه بَعْدُ .

والضب ذو أمثال ، يضربها النَّاسُ أمثالاً .

فَرَعِمَ أَنَّ الْأَسَدَ تَأَمَّرَ فَمَلِكٌ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ دَوَابِ الْوَحْشِ ، فلما مَلَكَهَا سَمِعَنَ وَأَطَعَنَ ، إِلَّا الضَّبَّ ، أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَأَبَى ، قال : من يَأْتِينِي به وله الْحُكْمُ ؟! قال الثعلب : أَنَا بِخِدْعِي ، قالت الضَّبُّعُ : وَأَنَا بِحِيلِي ، قال : فَأَذْهَبَا فَايْتَانِي به ، فلما خَرَجَا ، قال الثعلب للضبُّع : حَيْلَتُكَ يَا ضَبُّعُ ! قالت : حَيْلَتِي أَنْ تَضْرِبَنِي وَتَغْصِبَنِي تَمَرَّتِي ، قالت : فَأَخَاصِمُكَ إِلَى الضَّبِّ ، قال : فَفَعَلَ ذَلِكَ بَهَا ، فَأَقْبَلَتْ ، وَالضَّبُّ مُنْبَطِحٌ عَلَى سَنَدِ شَجَرَتِهِ ، فلما دَنَوْا مِنْهُ وَخَافَا أَنْ يَنْجَحِرَ ، قَالَا : يَا أَبَا حَسَلٍ ، إِنَّا نَخْتَصِمُ إِلَيْكَ فانتظرنا ! فأنجَحِرْ فِي جُحْرِهِ ، فقال : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحُكْمُ . فَأَزْفَا إِلَى بَابِهِ ، فقال : قِصَّتِكَ يَا ضَبُّعُ ؟ قالت : كَانَتْ لِي تَمْرَةٌ ، قال : حُلُّوْا جَنِيْبَ . قال : فَاخْتَلَسَهَا الثَّعْلَبُ ، فَلَطَمْتُهُ فَلَطَمَنِي ، قال : حُرٌّ أَنْتَصَرَ . فَرَجَعَا وَلَمْ يُغْنِيَا شَيْئًا .

وكان الضبُّ إذا وَلَدَ يُحْدَرُ وَلَدُهُ الْإِنْسَانَ ، فيقول : احذِرِ الْحَرْشَ يَا بُنَيَّ ، قال : فبينما هو ذات يوم فِي قَلْعَةٍ هو وابنه ، إِذْ وَجَدَ الْإِنْسَانُ أَثَرَ الضَّبِّ فِي الْقَلْعَةِ ، قال : فأخذ الْإِنْسَانُ مِرْدَاةً ففلق الْقَلْعَةَ رَدْيًا ، فقال يَأْبَتِ الْحَرْشُ هَذَا ؟! قال : يَا بُنَيَّ هَذَا أَجْلٌ مِنَ الْحَرْشِ ، فَأَذْهَبْهَا مَثَلًا . وقال : إِذَا ضَرَبُوا مَثَلًا لِلذَّلِيلِ : مَا صَارُوا لَهُمْ إِلَّا مَثَلُ الْمِرَاغَةِ ، أَوْ كَعَرَفَجَةِ الضَّبِّ الَّتِي يَتَذَلَّلُ .

إلى آخر ما ذكر ، وفي بعض ما تقدم إطالة وإملال ، فإلى نظرة أخرى في هذا الكتاب .

[ للحديث صلة ]

حمد الجاسر

## المؤلف والمختلف

### للدارقطني الحافظ علي بن عمر البغدادي ( ٣٨٥/٣٠٦ )

كُتِبَ في طرة الكتاب : ( هذا الكتاب رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ونوقشت بتاريخ ١٥/٨/١٤٠٦ هـ - ( ٢٤/٤/١٩٨٦ م ) ومنحت درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى في السنة وعلومها ) . ومقدم الرسالة هو ( الدكتور موفق بن عبدالله بن عبدالقادر ) الذي درس الكتاب وحققه ، فجاءت دراسته عن التعريف بالإمام الحافظ الدارقطني ترجمة مفصلة من ١ - ٦٨ من الصفحات ، ثم ( المؤلف والمختلف وأشهر من ألف فيه ) فدراسة الكتاب إلى ١٤٥ فالكتاب في أربعة أجزاء بلغت صفحاتها ( ٢٣٥٢ ) وأفرد للفهارس جزءاً خامساً بحيث بلغ مجموع الصفحات ٢٦٦٦ .

ولعل مما يكفي للتدليل على ما بذله المحقق من جُهدِ الاطلاع على أسماء الكتب التي رجع إليها، فقد أبلغها خمس مئة وثمانية وخمسين كتاباً .  
ولكن هذا لا يمنع من الارتباب في دُرْبَتِهِ - وفقه الله - بقراءة المخطوطات ، فأول ما يبدأ القارئ في مطالعة أصل الكتاب - ص ١٥١ - تصدمه كلمة ( السلماني ) في ترجمة بُجَيْرِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَى هَكَذَا : ( أخو كعب بن زهير السلماني ) فإذا رجع إلى اللوحة المصورة من الأصل أبصر الكلمة واضحة ( أسلم . . . ) ومابعدهما لم يتضح ، ولا شك أنه ( بعد الفتح ) أو ما هذا معناه ، وما كان أمر كعب بن زهير وخبر وفادته على ﷺ وإسلامه وقصيدته ( بانث سعاد ) وما جرى بينه وبين أخيه بُجَيْرِ قَبْلَ ذَلِكَ ، ثم معرفة كونه من قبيلة مزينة - ما كان شيء من ذلك مما يخفى على صغار طلبة العلم .

وَهَبَ أَنْ الكَلِمَةَ ووردت في الأصل أليس من أولى لوازم التحقيق البحث في أصل هذه النسبة التي أُلصقت بِالرَّجُلِ ؟  
ومن هذا ماورد - ص ١٥٤/١٥٣ - : ( اشترى علي بن أبي طالب - عليه السلام - بنت ربيعة بن بُجَيْرِ الثعلبي ، فأفخذها فولدت له عمر ورقية ) . . . الخ .

فكلمة ( الثعلبي ) واضحة في الصفحة المصورة من الأصل ( الثعلبي ) وهي

ملحقة في الهامش وهي الصواب ، فهو رئيس بني تَغْلِب من ربيعة ، وليس ( تَعْلِيًّا ) .

وكلمة ( فَأَفْخَذَهَا ) هي على ما يتضح من صفحة الأصل المصورة في المقدمة : ( فَأَفْخَذَهَا ) وفوق الكلمة ما يشير إلى إلحاق شيء في الهامش ، ولكن لم يتضح في التصوير ، وعلى فرض ورود الكلمة في الأصل ( فَأَفْخَذَهَا ) ما هو عمل المحقق إذا لم يثبت من صحة الكلمة صورة وَمَعْنَى ، لا سِيَّما بعد ان اتضح له مخالفتها لما بين يديه من مراجع؟! وأيُّ مَعْنَى لِلتَّفْخُذِ هنا؟

ولا تَهْوُلَنَّكَ كثرةُ المراجع التي سرد المحقق الفاضل أساءها في آخر الكتاب ، فإن من بينها ما يظهر أنه - وفقه الله - قليل العلم بها ، ومن أمثلة ذلك :

١ - ص ٧٢ : قوله عن كتاب « الإيناس في علم الأنساب » : ( وطبع بعناية حمد الجاسر ، ونشر مع كتاب « مختلف القبائل ومؤلفها » لابن حبيب ، و « الإيناس » هو مختصر لكتاب ابن حبيب « المؤلف والمختلف » مع زيادات عليه ) .

والواقع أن كتاب « الإيناس » ليس مختصراً لكتاب « مختلف القبائل ومؤلفها » بل هو مكمل للكتاب الذي وصفه مؤلف « الإيناس » بقوله : ( وَحَمَلْنَا عَلَى إثبات هذا التعليق استحساناً صُنِعَ أَبِي جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَاهُ « الْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ » فَإِنَّهُ لِحَبِّ لَنَا هَذَا السَّبِيلِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ اسْتِفْتَاؤُهَا ، وَعَلَيْنَا إِكْمَالُهَا وَإِيضَاحُهَا ) انتهى ، ف « الإيناس » أوسع وأشمل من كتاب ابن حبيب .

٢ - ص ٧٠ : وقال عن « المؤلف والمختلف في أسماء القبائل » : ( نشره المستشرق الألماني فرديناند وستن فيلد . . . وأعاد تصويره حمد الجاسر مع كتاب « الإيناس » ) انتهى .

والواقع أنَّ الذي صور هذا الكتاب هو الأستاذ قاسم الـرجب صاحب مكتبة المثنى - رحمه الله - أما أنا فقد أعدتُ طباعته بعد تصحيح ما ظهر لي أنه بحاجة إلى التصحيح .

٣ - ص ٧٦ : عَدَّ كتاب « عجالة المبتدي وفضالة المنتهي » في النسب

للحازمي - عده من كتب « المؤتلف والمختلف » قائلاً : ( إن المتمعن له يتبين له أنه من كتب ضبط الأنساب ، وأن مادته في المؤتلف والمختلف ) . وبصرف النظر عن هذا القول الذي يدخل كل كتب النسبة في باب المؤتلف والمختلف إلا أن مما يلاحظ على المحقق أنه قال عنه : ( طبع بتحقيق عبدالله سحنون - القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع ) . . . الخ .

هكذا ورد اسم المحقق جأفاً وهو من كبار علماء هذا العصر ، وأغزرهم تاليفاً ، وأوسعهم شهرة ، بينما يسبغ المحقق صفات الأستاذ والدكتور على زملائه من الطلبة ويضن بأقلها على هذا العالم الجليل ، ومحقق هذا الكتاب ليس ( سحنون ) بل ( كُنُون ) وهو من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والكتاب قام بنشره هذا المجمع ، فكان الأولى أن ينسب إليه . إن القارئ قد يحس في بعض العبارات المتقدمة شيئاً من القسوة ، ولكنها من قبيل قسوة الناصح الشفيق ، الذي يريد لطلاب العلم الخير ، ويسعى لكي يسير هاؤلاء الذين أصبحوا موجهين وأساتذة في جامعات بلادنا على نهج السلف الصالح ، وأن يتخلقوا بأخلاقهم التي من أهمها إجلال العلماء ومعرفة مكائهم ، ومن أولى بذلك من طلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ثم من بعد ذلك أن يصرفوا العناية التامة لإبراز أعمالهم على خير الوجوه . ولا أدري أيسوغ لطالب أن يتقدم بكتاب ناقص ليتخذ منه موضوعاً لنيل اجازة ( الدكتوراه ) ؟!

ولا أكلّف المحقق الفاضل شططا حين أروم منه التحري عن كتاب « الاعلام بما في كتاب المؤتلف والمختلف من الأوهام » للعالم الأندلسي المشهور الرشاطي عبدالله بن علي اللخمي ( ٤٦٦ / ٥٤٢ هـ ) وقد ذكره الذهبي في « سير اعلام النبلاء » ٢٠ / ٢٥٩ .

أو الاطلاع على مؤلف الرشاطي « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار » إذ لا استبعد أن يكون قد تعرض لكتاب الدارقطني فيه ، ولهذا الكتاب بقية ، وله أيضاً مختصر .

حمد الجاسر

والله الموفق . . .